«الهدف» تحاور الأديب السوري محمد جمال طحان

سياسية عربية
كل الحقيقة للجماهير

AL HADAF

الهدف



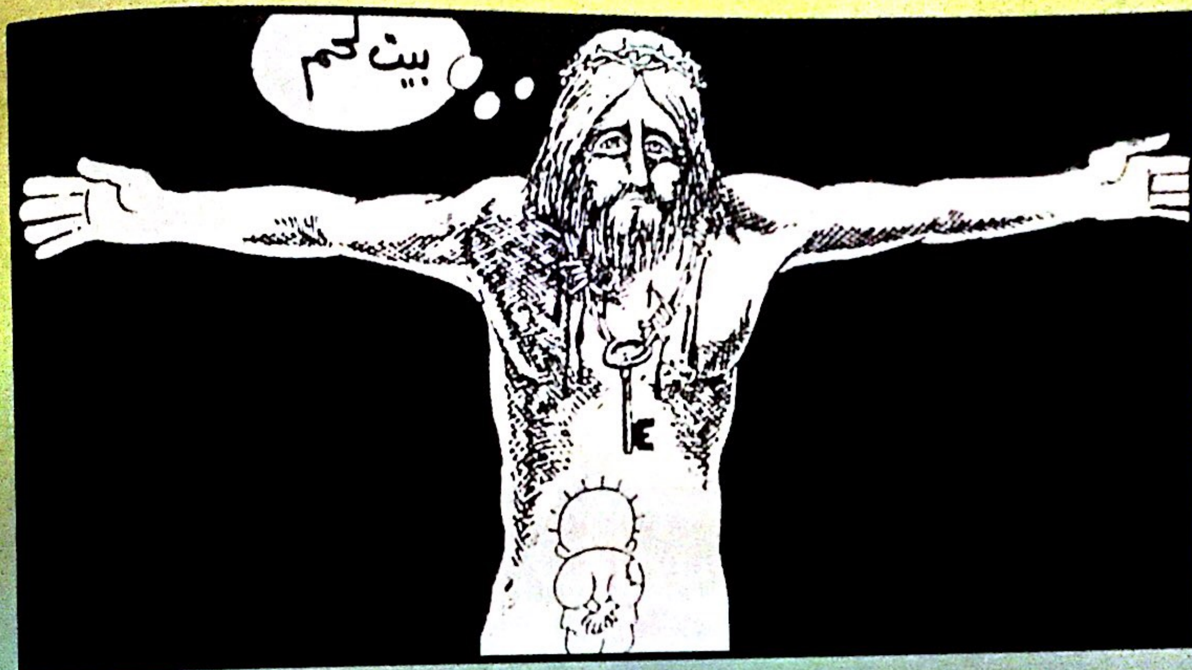
العدوان الأمريكي ـ الأطلسي على يوغسلافيا

النظام العالمي الجديد وأمركة العالم

AL HADAF - No. 1291 - 11/4/1999



ناجي العلي على سفر وواقع الحال مقيم



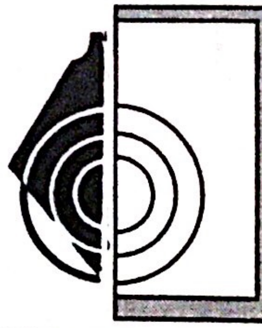


الآن «الهدف» على الانترنت

عنوان الموقع على الشبكة:
- http://www.crosswinds.net/lebanon/~alhadaf

البريد الإلكتروني:
- E-mail: alhadf@lebanon.crosswinds.net

كذلك سيتم نشر للمجلة إلكترونياً ايضاً على نظام إنترنيت حديث جداً خلال اسابيع قليلة، وهو اسرع، وسيكون عنوانه:
- http://www.crosswinds.Palestine/~alhadaf



هل يتم إعلان الدولة الفلسطينية
في الرابع من أيار؟

على ضوء اقتراب موعد الرابع من ايار (مايو) ١٩٩٩ تندفع مجموعة من الأسئلة والتساؤلات المثارة حول المرحلة القادمة فلسطينياً واستحقاقاتها.

هل سيتم تمديد المرحلة الإنتقالية واستمرار العمل بموجبات اتفاق أوسلو الذي حصلت من خلاله إسرائيل على جلّ ما تريد؟ أم ستقدم السلطة الفلسطينية على إعلان الدولة من جانب واحد كما أعلنت مراراً خلال الشهور الأخيرة؟

إن أي استعراض سريع لمجريات الأحداث خلال السنوات الخمس الماضية يشير إلى أن السلطة الفلسطينية مارست باستمرار سياسة التراجع وتقديم التنازلات، رغم أن إسرائيل لم تلتزم بالإتفاقات التي أبرمتها ولم تطبق سوى الجزء اليسير من استحقاقات المرحلة الإنتقالية.

فقد بات واضحاً كل الوضوح مرتكزات الموقف الإسرائيلي في التفاوض مع الجانب الفلسطيني، هذا الموقف الذي يستند إلى عناصر متعددة أهمها:

أولاً: كسب الوقت إلى أقصى مدى والمراوحة في المفاوضات لإستمرار المشاغلة السياسية وخداع العالم بأن مسيرة ما يسمى بعملية السلام مستمرة ومتواصلة.

ثانياً: تنفيذ البرنامج الإستيطاني وخلق حقائق جغرافية وسياسية جديدة على الأرض تنطلق منها إسرائيل في مفاوضاتها اللاحقة.

ثالثاً: اقتناع إسرائيل وعلى ضوء تجربتها في المفاوضات، بأن السلطة الفلسطينية تملك قدرة هائلة على التراجع والتكيف مع المواقف الإسرائيلية والتنصل عما تعلنه من مواقف سرعان ما يتم التخلي عنها.

رابعاً: إدراك المفاوض الإسرائيلي بأن الولايات المتحدة الأمريكية ستمارس الضغط في كل محطة على الجانب الفلسطيني ليقبل بشروط ومساومات جديدة.

لقد أعلنت السلطة الفلسطينية قبل عامين أنها لن تعود للمفاوضات ما لم يتم وقف الإستيطان، لكنها سرعان ما تراجعت وتخلت عن ذلك وعادت للمفاوضات. ثم أعلنت أنها لن تقبل إلا بتطبيق كامل لإتفاق أوسلو وإنهاء قضايا المرحلة الإنتقالية، ثم عادت وقبلت بما هو أدنى من ذلك.

وبعد أن أعلنت قبولها للمبادرة الأمريكية حول إعادة الإنتشار بنسبة ١٣٪ وافقت على إجراء تعديلات على هذه المبادرة لتنسجم بشكل كامل مع الرؤية الإسرائيلية. وعندما قال عرفات أنه سيقدم على إعلان الدولة الفلسطينية خلال إلقائه لخطابه في الجمعية العامة للأمم المتحدة العام الماضي، عاد وحذف كافة الفقرات المتعلقة بهذا الإعلان إثر الضغوط الإسرائيلية والأمريكية.

وأخيراً وليس آخراً وقّع اتفاق «واي ريفر» الذي شكّل منعطفاً جديداً في سياسة التفريط بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني.

واليوم، فإن غالبية المؤشرات تدلل أنه بات شبه مؤكد بأن السلطة الفلسطينية سترضخ وتستجيب للمطلب الإسرائيلي الأمريكي بعدم إعلان الدولة من جانب واحد. وسيتم تأجيل ذلك ارتباطاً بالإنتخابات الإسرائيلية، ونتائج محادثات رئيس السلطة الفلسطينية في واشنطن مع الرئيس الأمريكي الذي أكد بوضوح التزامه بالموقف الإسرائيلي، حيث لم يقدم أية ضمانات سوى وعد بالضغط لإستمرار المفاوضات. وبعد ذلك أعلن السيد نبيل شعث أنه ينبغي رؤية نصف الكأس المليء وهو الوعد الأمريكي باستمرار بحث ومناقشة تنفيذ الإتفاقات.

إذن، فإن الدلائل تؤكد أن عرفات لن يعلن الدولة الفلسطينية في الرابع من أيار ومن أجل تأجيل الإعلان فإنه يسعى إلى غطاء عربي ودولي حيث أشارت بعض المعلومات الصحافية إلى أنه طلب من الأردن ومصر إصدار بيان ثلاثي فلسطيني مصري ـ أردني يتحدث عن التأجيل. كذلك فقد حصل على بيان الإتحاد الأوروبي الذي أشار في أحد بنوده إلى حق الفلسطينيين في تقرير المصير بما في ذلك خيار الدولة.

واليوم تعمل السلطة الفلسطينية للتمهيد لعقد دورة للمجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية نهاية الشهر الجاري لتعلن على الأرجح تأجيل إعلان الدولة.

وفي كل الأحوال فإن اتفاقات أوسلو لن تقود إلى دولة فلسطينية مستقلة عاصمتها القدس، بل لن تؤدي إلاّ إلى المزيد من تفاقم مشكلات الشعب الفلسطيني.

إن بناء الدولة الفلسطينية، وهي هدف كفاحي لمجموع الشعب الفلسطيني لن يتم إلا بإعادة الإعتبار للذات الوطنية الفلسطينية وتوفير مقومات بناء دولة حقيقية وذات سيادة على أرضها وليس من خلال سياسة التفريط والتنازلات ■■



رئيس التحرير
د. ماهر الطاهر

سكرتير التحرير
خليـل جنداوي

مدير الادارة
محمد خير الأسعد

المدير الفني
زهـدي العدوي

ثمن النسخة

لبنان ١٠٠٠ ل.ل/ سوريا ٣٠ ل.س/ الأردن ٥٠٠ فلسا/ العراق ١٠٠ د.ع/ الإمارات ١٠ درهما/ الجزائر ١٠ دينار/ ليبيا دينار واحد/ تونس ١٢٥٠ د.ت/ صنعاء ١٥ ريالا/ السودان ٦ جنيها/ المغرب ١٦ درهما/ امريكا وكندا ٣ دولار/ المانيا ٥ مارك ألماني/ اسبانيا ٣٠٠ بيزيته

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي بما فيها اجور البريد

سوريا ٦٠٠ ل.س/ لبنان والأردن ٣٠ دولارا/ بقية الدول العربية ٥٠ دولارا/ اوروبا ١٢٥ دولارا/ اسيا وافريقيا ١٠٠ دولارا/ الامريكتين واستراليا ١٥٠ دولارا

- يتم الاشتراك بارسال اشعار الإيداع بقيمة الاشتراك السنوي (او نصف السنوي) على العنوان التالي بنك بيروت والبلاد العربية شتورا ـ لبنان رقم الحساب
- او بارسال شيك بنكي باسم الهدف. دمشق/ ص.ب ٣٠١٩٢

المكاتب

دمشق ـ ص.ب ٣٠١٩٢
دمشق ٦٣٣٢٨٢٦٧
٦٣١٩٣٧٤
بيروت ٣٠٩٢٢٠
عمان ٦٩٦٢٤٠
صنعاء ٢٠٥٨٤٩
الجزائر ٥٩٤٥٤٨
٢٨٤٣٠٤
بغداد ٧١٩١٦٢٢
٧١٧٤٧١٠

الهدف AL-HADAF
سياسية عربية ـ تصدر مؤقتا كل أسبوعين

«الهدف» ١١ نيسان ١٩٩٩م ـ العدد ١٣٩١
السنة الثامنة والعشرون ـ الثمن ٣٠ ل.س/ ١٠٠٠ ل.ل
AL - HADAF - No. 1291 - 11/4/1999

كلمة

قبل أشهر عديدة غادرنا رئيس التحرير الزميل نصار ابراهيم إلى الوطن المحتل.. وبهذه المناسبة التي نودع فيها رئيس التحرير فإننا نتذكر كل الساعات الجميلة التي قضاها معنا وجهوده الهائلة التي انعكست بوضوح على صفحات مجلتنا.. متمنين له كل التوفيق في موقعه النضالي الجديد.

وعلى ضوء ذلك جرت إعادة هيكلية بسيطة إذ سيتولى المشرف العام مهام رئيس التحرير بالإضافة لمهامه..

وفي الختام نتوجه إلى الأخوة المسيحيين من كافة الطوائف في بلادنا وأمتنا العربية بمناسبة أعياد الفصح المجيد متمنين لهم دوام الصحة والعافية.

ولايفوتنا هنا تهنئة الشعب الليبي الشقيق بالخبر السعيد الذي تلقيناه قبل أيام والمتعلق بتعليق العقوبات وبالتالي سقوط الحصار عن ليبيا الصامدة، متمنين ان تزول نهائياً كل ذيول قضية لوكربي بأسرع وقت ممكن..

موضوع الغلاف:



العدوان الأمريكي
الأطلسي على يوغوسلافيا
النظام العالمي الجديد
وامركة العالم
صفحة ٦

في هذا العدد

شؤون فلسطينية

■ الرابع من أيار: الإستحقاق والإحتمالات
■ حقيقة مصطلح إعادة الإنتشار
■ القدس في درب آلامها: وحش الإستيطان والرد المطلوب
■ اللجنة الوطنية العليا للمتابعة تقيم مهرجاناً بمناسبة ذكرى يوم الأرض

شؤون العدو

■ الأحزاب العربية في إسرائيل: تشرذم إضافي يعني تمثيل أقل

شؤون عربية

■ الفكر العربي: الماضي، الحاضر، الآفاق
■ الإنتخابات الرئاسية الجزائرية: خروج من المأزق أم تجدد في الأزمة؟
■ ليبيا: هل ينتهي الحصار أخيراً؟
■ قراءة في خطاب التطبيع (حلقة ٢)

شؤون دولية

■ الحرب الأرتيرية ـ الأثيوبية وانعكاساتها على الأمن القومي

الهدف الثقافي:

■ رسالة مفتوحة من عبد الرحمن منيف إلى ريتشارد بتلر
■ هل يستحم النهر ـ حقاً في البحيرة؟
■ «الهدف» تحاور الباحث الأديب السوري د. محمد جمال طحان
■ خصوصية مسرح الدمى في علاقته مع الواقع

مرايا هذا الزمان

— خليل جنداوي —

كل مذبحة وأنتم بخير

حين الحديث عن الإرهاب الصهيوني يتبادر إلى الذهن فوراً اسم دير ياسين.. والعكس صحيح أيضاً.. فاي ذكر لهذه القرية الشهيدة يستدعي قبل كل شيء معنى المذبحة والكارثة..

وهذا الأمر بحد ذاته يثير الدهشة. لماذا دير ياسين؟ رغم ان صراعنا مع الوحش الصهيوني أسفر عن عشرات المجازر.. منها ما هو قبل دير ياسين كما حدث في قرى بلد الشيخ وحواسة وناصر الدين (قرب طبرية)، ومنها ما هو بعد دير ياسين كالمذبحة التي شهدتها قرية الدوايمة، وما جرى في قرية عيلبون في اواخر شهر تشرين اول ١٩٤٨، وقرية صفصف، ومدينة اللد التي شهدت أكثر من مجزرة، في واحدة منها سقط ٢٥٠ من ابنائها وفي أخرى ٣٥٠ بين رجل وإمراة وشيخ وطفل.. وبعد النكبة كرت المسبحة عن سلسلة طويلة من المذابح على امتداد تاريخ الصراع العربي ـ الصهيوني من غزة إلى كفر قاسم، فعمليات الإعدام الإجرامية التي ارتكبها الجيش الإسرائيلي بحق أسرى الحرب العرب وخصوصاً المصريين في سنتي ٥٦، ١٩٦٧ ثم المذبحة التي طالت مدرسة بحر البقر المصرية التي كان فيها أطفال يدرسون في المرحلة الإبتدائية مروراً بصبرا وشاتيلا والحرم الإبراهيمي الشريف وصولاً إلى المنصوري وقانا..

وإذا كانت المصادر العربية تقول أن عدد ضحايا دير ياسين يبلغ حوالي ٢٥٠ شهيداً، فهذا يعني بالتأكيد ان ثمة مذابح اخرى سقط فيها عدد اكبر من القتلى، فالسؤال الذي يبرز هنا هو لماذا هذا الإهتمام الزائد او التركيز شبه الصوفي على دير ياسين وإضفاء صبغة القدسية عليها؟

هذا السؤال ليس افتراضياً، بل سمعت كثيرين يطرحونه بصدق، منهم فلسطينيون وخصوصاً من الجيل الثالث للنكبة..

لإستجلاء الصورة هنا يجب أن نعود للملابسات التي رافقت المجزرة، ففي تلك الأيام، بالضبط اي في الأيام الأولى من نيسان ١٩٤٨ كان المجتمع الفلسطيني منشغلاً بمصيبة فاجعة ألمّت به.. فبعد معركة تحرير القسطل وجد المقاتلون الفلسطينيون المنتشون بانتصارهم قائدهم الميداني عبد القادر الحسيني مصاباً في ساحة المعركة وقد أسلم الروح، فانخلعت قلوبهم واختلطت مشاعر الفرح بالإحساس باليتم، وأصابهم الذعر من غياب قائد فذ كانوا بأمس الحاجة إليه.. وفي نفس اليوم الذي كان فيه الفلسطينيون يتجمعون في القدس لتشييع جنازة الشهيد عبد القادر الحسيني جاءت أولى الأنباء عن الكارثة التي أصابت دير ياسين فوقع الجرح على الجرح.. وبدت الحركة الوطنية الفلسطينية كسيحة وقد أصابها الشلل بعد ان كُسر ظهرها من هول الضربة التي مثلتها هاتان الكارثتان، فانهارت المعنويات وبدأت روح المقاومة تضعف، لتتدهور الأمور بسرعة مذهلة إلى الهزيمة المحتمة التي كانت ملامحها قد بدأت تتضح قبل أن تصبح حقيقة قطيعة بعد اشهر قليلة...

وجاءت الأخبار اللاحقة والتي راوحت بين الضبابية والإشاعات عن مذابح هنا وأخرى هناك لتؤكد أن دير ياسين كانت قمة جبل جليد الإرهاب الصهيوني التي انكشفت آنذاك، وبقدر ما كان المخفي عظيماً، إلا أن القادم كان يبدو أعظم.. وهنا يجب ان نشير إلى أن العصابات الصهيونية نفسها ساهمت في تضخيم هذه الإشاعات لتحقيق غرضها المتمثل في دفع الفلسطينيين للهرب من أرضهم حفاظاً على أرواحهم او بمصطلحات أيامنا هذه «التطهير العرقي» للارض المستولى عليها. لكن للامانة يجب القول أن المجازر بحد ذاتها هي التي لعبت الدور الأبرز في تحقيق هذا الهدف الصهيوني، فبموجب الوثائق الصادرة عن الجيش الإسرائيلي بعد تنفيذ «الخطة دال» التي استهدفت «تهجير السكان العرب إلى خارج الحدود» نجد تعقيب يقول: «ثمة ٥٥٪ من إجمالي الهجرة سببتها عملياتنا (اي الهاغاناه ثم الجيش) وبتأثير منها». وكانت هجمات عصابات الأرغون وشتيرن مسؤولة عن «١٥٪ من الهجرة»، أما الحرب النفسية فكانت «مسؤولة عن ١٤٪ من الهجرة».

هذا هو الإرهاب بعينه، ولا نجد له تسمية غير هذه، لكن العالم المتحضر المصاب بانحراف في نظره، برأ القاتل ووسم الضحية بالإرهاب حين حاولت استرداد حقوقها المغتصبة...

هذا التطهير العرقي يعتبر في أيامنا الحالية «جريمة بحق الإنسانية» ومن يرتكبه يهددونه بمحكمة العدل الدولية في لاهاي.. ويُطارد أو يُحارب او تُفرض عليه العقوبات.. أما في العام ١٩٤٨ فقد أغمض العالم المتحضر عينيه عن الكارثة الفلسطينية التي اسفرت عن آلاف القتلى وهدم أكثر من ٤٠٠ قرية من أصل ٤٧٥ قرية كانت موجودة في فلسطين وتشريد حوالي ثلاثة أرباع مليون فلسطيني من ديارهم.

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر فيجب أن نشير ولو بسرعة الى ماساة اللاجئين الألبان من كوسوفو، ولنؤكد أن شعبنا الفلسطيني ومن أعماقه وبصدق يسجل تعاطفه وتضامنه معهم وخصوصاً أن الظروف التي يعيشونها الآن تكاد تكون تكراراً لما سُبق وعاناه قبل خمسين عاماً، ويدعو الله ان تنتهي محنتهم سريعاً.

وإذا طبقنا المنطق السائد الآن، فكان من الضروري حتماً محاكمة المسؤولين عن الجرائم التي ارتكبت في فلسطين أو على الأقل معاملتهم كقتلة وبالتالي مقاطعتهم وتلطيخ سمعتهم من قبل كل من يدعي الحرص على الكرامة الإنسانية. إلا أن ما جرى فعلاً يدخل في إطار الكوميديا السوداء فمناحيم بيغن بطل مجزرة دير ياسين حصل على جائزة نوبل للسلام بعد اتفاق كامب ديفيد، واسحق رابين ايضاً حصل على نفس الجائزة بعد اتفاقية اوسلو رغم انه أعطى أوامر صريحة بتكسير عظام الفلسطينيين أثناء الإنتفاضة، وقبل ذلك تورط في جرائم إعدام الأسرى المصريين عامي ٥٦-٦٧، وشمعون بيريز كذلك حصل على نوبل للسلام رغم أنه المسؤول المباشر عن مجزرتي قانا والمنصوري..

كثيرون ممن يدعون أنهم من العالم المتحضر زاروا النصب التذكاري المعروف باسم «ياد فاشيم» الذي أقامه الإسرائيليون لتخليد قتلى اليهود على أيدي النازيين، بل اصبحت هذه الزيارة نوعاً من التقليد الثقيل الذي تفرضه الدولة على ضيوفها، لكن قليلون من هؤلاء الزوار يعرفون أنهم لو تلفتوا حولهم ونظروا إلى مستعمرة «كفار شاؤول» التي لاتبعد أكثر من ٥٠٠م من مكان وقوفهم، فستقع أنظارهم على أراضي دير ياسين الشهيدة التي أصبحت رمزاً لعذابات الفلسطينيين ودمهم الذي يصرخ مطالباً بالعدالة...

الهدف

البـــعـدوان
الأمريكي - الأطلسي
على يوغسلافيا

يشهد العالم على أعتاب القرن الحادي والعشرين تبلور نظام عالمي متوحش تسعى فيه الولايات المتحدة الأمريكية لفرض هيمنتها وفق سياسة متغطرسة تعطي نفسها الحق على أساس منطق القوة وشريعة الغاب لمواجهة كل من يعارض سياستها، ومحاولة تجسيد وتطبيق مقولة الرئيس الأمريكي «روزفلت» عام ١٨٩٨ عندما قال: «قدرنا أمركة العالم».

إن فهم ما يسمى بالنظام العالمي الجديد، لايمكن أن يتم بمعزل عن إعادة فتح الحوار حول نظرية الإمبريالية، والتي هي اليوم منظومة من التبعية المتدرجة التراتب تقف الولايات المتحدة الأمريكية على رأسها كمتربول أعلى يتحرك تحركاً استراتيجياً على صعيد العالم بأسره. وعليه فإن النظام العالمي الجديد ما هو إلا محاولة لنقل السيطرة الإمبريالية من الإقتصاد إلى السياسة. ويبدو أن هذا النظام يقوم على تقسيم يجعل بعض الأمم «المراكز» يصدر الأوامر والقرارات وبعضها الاخر مطلوب منه تنفيذها وإلا تعرض للقصف والعدوان والدمار.

النظام العالمي الجديد وأمركة العالم

د. ماهر الطاهر

انطلاقاً من هذه القاعدة نفذ حلف شمال الأطلسي تهديداته ضد يوغسلافيا وقامت طائراته مساء الرابع والعشرين من آذار بالإغارة على القوات والمواقع الصربية وقد دشنت هذه الغارات بداية المرحلة الأولى من الخطة الموضوعة كما يقال لمعاقبة الرئيس اليوغسلافي سلوبودان ميلوسيفيتش وتقليص قدراته على مواصلة العمليات العسكرية ضد ألبان كوسوفو، ورفضه «اتفاق رامبوييه» للسلام. وأضافت الولايات المتحدة الأمريكية ودوائر حلف الأطلسي بأن هدف العملية هو منع كارثة انسانية ضد سكان اقليم كوسوفو. فهل هذه هي حقيقة أهداف العمل العسكري ضد يوغسلافيا أم أن هناك أهدافاً أخرى أشمل وأوسع؟

لاشك أن أهداف العدوان العسكري الحقيقية ضد يوغسلافيا تتجاوز بكثير الأهداف المعلنة، لأن هناك أهداف استراتيجية وبعيدة المدى تسعى الولايات المتحدة الأمريكية إلى فرضها مستفيدة من الأوضاع العالمية الجديدة خاصة بعد انهيار الإتحاد السوفيتي واختلال التوازن الدولي وذلك لإعادة رسم الخرائط الجغرافية والسياسية في العديد من بقاع العالم ومحاولة تكريس الهيمنة الأمريكية الشاملة والتحكم بالنظم السياسية للدول وتهميش سيادتها لفرض السيطرة والتبعية على الشعوب لكي تخضع للمركز الإمبريالي وسياساته بشكل صارم. ومن هنا فقد عملت الإدارة الأمريكية على توسيع حلف الناتو وضم العديد من دول أوروبا الشرقية لهذا الحلف في محاولة لتكريس ما يمكن تسميته بالعولمة العسكرية المرتبطة بالبنتاغون والذي بات يلعب دور الشرطي العالمي الذي يعاقب ويضرب كل من يتمرد ويعارض السياسة الأمريكية في العالم.

خطر تهميش مؤسسات الشرعية الدولية ومحاولة إنهاء دورها

من الملاحظ أن العدوان العسكري على يوغسلافيا قد تم خارج نطاق مؤسسات الشرعية الدولية وبمعزل عنها، حيث اتخذ حلف شمال الأطلسي ولأول مرة في تاريخه منذ تأسيسه عام ١٩٤٩ قراراً متفرداً بشن الحرب لفرض أهداف تتعلق بمصالح هذا الحلف وتم استبعاد مجلس الأمن الدولي كلياً مع العلم أن منطق القانون الدولي يؤكد أن مجلس الأمن يحق له وحده أن يقرر ما يجب اتخاذه من إجراءات للمحافظة على السلام والأمن الدوليين. ولم يتخذ مجلس الأمن قراراً كهذا بشأن يوغسلافيا. وبالتالي فإن العمل العسكري الذي يمارسه حلف شمال الأطلسي يشكل خرقاً لميثاق الأمم المتحدة وخطراً حقيقياً على الشرعية الدولية. وفي الواقع فإن حلف الناتو يحاول أن يقدم نفسه بديلاً عن مؤسسات الشرعية الدولية.

إن خطر تهميش ومحاولة إنهاء دور الأمم المتحدة ومجلس الأمن وخرق مبادئ القانون في العلاقات الدولية سابقة خطيرة تهدد الأمن والسلم في العالم أجمع. وهذه السابقة لم تبدأ بإشعال الحرب في البلقان بل مارستها الولايات المتحدة الأمريكية عندما واصلت اعتداءاتها العسكرية المتكررة ضد العراق بعد انسحابه من الكويت. وهي تمارس عملياً إنهاء دور المرجعية الدولية من خلال رفضها القاطع لأي دور للأمم المتحدة ومجلس الأمن فيما يخص الصراع العربي الإسرائيلي والقضية الفلسطينية.

لقد رفضت الولايات المتحدة الأمريكية بصورة دائمة عقد مؤتمر دولي للسلام في الشرق الأوسط ورفضت العودة لقرارات الشرعية الدولية ذات الصلة بالقضية

الفلسطينية كمرجعية للمفاوضات، وأصرّت على حلول منفردة مرجعيتها الوحيدة واشنطن وتل أبيب لكي تفرض تصوراتها ورؤيتها لسلام زائف يقوم على منطق القوة وفرض الأمر الواقع. ورفضت حتى دوراً فاعلاً لأوروبا في مسار المفاوضات المتعلقة بقضايا الصراع العربي ـ الإسرائيلي.

إن ما يجري في يوغسلافيا ومنطقة البلقان سيكون له انعكاسات على مجمل الوضع في العالم، كما سيكون له انعكاسات ملموسة على الوضع في الشرق الأوسط حيث ستزداد نزعات الغطرسة والعدوان لفرض حلول وترتيبات تتعارض مع مصالح شعوب المنطقة. لاشك أن النظام الدولي الذي تم تبلوره بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وانبثاق منظمة الأمم المتحدة ومجلس الأمن يتعرض اليوم لإهتزاز شديد وخطير حيث تسعى الولايات المتحدة الأمريكية لتحطيم المرجعية التي ولدها التوازن الدولي في ظل نظام القطبين ومحاولة خلق مرجعية جديدة يقودها قطب واحد خارج نطاق المؤسسات الدولية التي باتت تجد نفسها اليوم عاطلة عن العمل وتفقد تدريجياً مبررات وجودها. فلا جدال في حقيقة أن القوة اليوم لم تعد قوة المنطق والعدالة والقانون الدولي والشرعية، بل قوة أمريكا وتحالفاتها وأساطيلها وبوارجها وطائراتها وأجهزة تجسسها، وهذا ما يضع البشرية في القرن الحادي والعشرين على أبواب مرحلة جديدة وشديدة الخطورة تهدد الأمن والسلام والتوازن في العالم بأسره.

أهداف العدوان الأطلسي على بلغراد

ما هي الأهداف الجوهرية والحقيقية للحرب التي يشنها حلف الأطلسي ضد يوغسلافيا؟ هل هي حقيقة ترمي إلى حماية سكان اقليم كوسوفو المسلمين ومنع حصول كارثة إنسانية هناك؟ لا نظن أن هذه الخدعة والمسرحية يمكن أن تنطلي على أحد أو يصدقها أي عاقل. لأنه إذا كان الأمر على هذا النحو، فلماذا لايتم قصف إسرائيل التي تقترف المجازر المتواصلة ضد الشعب الفلسطيني منذ أكثر من خمسين عاماً؟ ولماذا لايتم معاقبة حكام تل أبيب الذين ينتهكون كل يوم وبشكل سافر قرارات الأمم المتحدة والقانون الدولي ويواصلون سياسة الإستيطان والقمع والتهويد وتغيير معالم القرى والمدن وتزييف التاريخ؟

إذا كان الأمر على هذا النحو فلماذا اقامت أميركا مناطق الحظر الجوي في العراق تحت



حجة حماية الأكراد في الوقت الذي تصمت فيه على قمع أكراد تركيا الذين يبلغ عددهم أضعاف الأكراد في العراق؟ لانظن أن حماية سكان اقليم كوسوفو ومنع حصول كارثة إنسانية هناك، وتقليص القدرات العسكرية للجيش اليوغسلافي لإجباره على العودة إلى طاولة المفاوضات هي الأهداف الحقيقية لحرب البلقان، بل هناك ما هو أبعد وأعمق من ذلك، وهو يتلخص أولاً بمحاولة تقسيم يوغسلافيا المتعددة القوميات والعمل على فصل اقليم كوسوفو واقاليم أخرى لاحقاً لتفتيت هذا البلد وتجزئته، وربما تفتيت منطقة البلقان بأسرها وإعادة رسم خرائطها الجغرافية والسياسية لأهداف تتعلق بالمصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية في صراعها مع الأقطاب والدول الكبرى للسيطرة على العالم.

كما يتلخص ثانياً في محاولة تهميش دور روسيا الإتحادية المثقلة بالهموم والمشكلات الداخلية، وتوجيه ضربة قوية لها لإنهاء دورها كقوة عظمى لها تأثيرها ورؤيتها للاوضاع العالمية وحصر دورها كقوة اقليمية كبيرة تمتلك السلاح النووي، لكن لاينبغي أن تشكل لاعباً على المستوى الدولي.

إن الولايات المتحدة الأمريكية تريد فرض هذه الحقيقة، وهي تدرك جيداً هامش الحركة الضيق للقيادة الروسية وعمق المشكلات الإقتصادية والسياسية ومدى حاجتها لصندوق النقد الدولي والمساعدات الخارجية لمواجهة أزماتها المتفاقمة والمستعصية بعد تحولها إلى اقتصاد السوق اثر انهيار نظامها الإجتماعي السابق.

المأساة الإنسانية لسكان كوسوفو وضرورة الحل الديمقراطي

لاشك أن المأساة الإنسانية التي يواجهها سكان اقليم كوسوفو وتشريد الناس من أرضهم وديارهم يحتاج إلى حلول حاسمة وسريعة تقوم على أساس حل ديمقراطي عادل يضمن عودة اللاجئين إلى أرضهم، ويضمن حقوق سكان اقليم كوسوفو وكافة الأقليات لكي يعيشوا بأمن واستقرار، وهذا لن يتحقق بالقصف والدمار لأن الحرب التي يشنها الأطلسي وقع ضحيتها شعب كوسوفو وصربيا وسيقع ضحيتها جميع شعوب المنطقة. وهذا ما يدركه زعيم ألبان كوسوفو إبراهيم روغوفا الذي دعا حلف الأطلسي إلى وقف غاراته وإنهاء الحرب لأنه يعي جيداً أن هدف الحملة العسكرية ليس مصالح المسلمين من أبناء شعبه، بل تحقيق مصالح الآخرين على حساب شعوب البلقان بأسرها.

لاشك أن شعب كوسوفو ومأساته الإنسانية لايتم حلها بقبول بضعة آلاف من اللاجئين في الولايات المتحدة الأمريكية وآلاف آخرين في بلدان أوروبية أخرى، بل يتم من خلال إنهاء الحرب ووقف التدمير والوصول إلى حل سياسي ديمقراطي عادل يحقق مصالح شعوب المنطقة وبما يحافظ على وحدة يوغسلافيا ووحدة ترابها الوطني.

إن تورط بلدان حلف الأطلسي في حرب البلقان سيخلق لها مشكلات كبرى سواءً على المستوى الداخلي أو على المستوى العالمي بالنسبة للدول المناهضة لهذه الحرب، وبالتالي فإن الكثير من الأسئلة حول تطور الصراع ومستقبله ستبقى مفتوحة وعلى كل الإحتمالات ■■



١٩٩٩/٥/٤
الإستحقاق.. والإحتمالات

جميل المجدلاوي

عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

بعد تكرار التأكيد على نية السلطة الفلسطينية في إعلان دولة فلسطين، أو بسطها أو تجسيدها على أرض فلسطين، وفقاً للصيغ والمفردات التي استخدمتها السلطة، وقبلها وبعدها العديد من القوى والشخصيات الفلسطينية، نظمت ورشة عمل في قاعة رشاد الشوا بمدينة غزة هي أقرب إلى الحوار أو العصف الفكري الذي يأخذ طابع التفكير المتبادل بصوت مسموع، وقد شارك في هذه الورشة ممثلون عن كل من السلطة الفلسطينية والقوى الوطنية والإسلامية وعدد من الشخصيات الوطنية، وبعض المثقفين والأكاديميين ومن ذوي الإختصاص بالقانون الدولي وأحكامه وبحضور ممثلي الدول العربية لدى السلطة الفلسطينية.

طُرحت في تلك الورشة أكثر من ورقة توفر عناصر وقواعد الأعراف والقوانين الدولية التي تشرع وجود هذه الدولة، وفقاً لسلسلة من القرارات التي أصدرتها الهيئات والمنظمات الدولية بما في ذلك الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي بدءاً من قرار ١٨١ الذي ينص على دولتين في فلسطين، مروراً بقرار قبول إسرائيل عضو في الجمعية العامة واشتراط هذه العضوية باعتراف إسرائيل بحق الفلسطينيين في دولتهم وحقهم في العودة أو التعويض لمن لايريد العودة وفق منطوق القرار ١٩٤ وانتهاءً بقرارات مأخوذة تكرارا حول حقوق الشعب الفلسطيني المشروعة وغير القابلة للتصرف بما في ذلك حقه في تقرير مصيره دون تدخل خارجي، وحقه في الإستقلال والسيادة الوطنيين.

وكان واضحاً للجميع أن كل الدراسات القانونية التي قدمت ـ أو التي يمكن أن تقدم لاحقاً ستفصح عن تأكيد ما هو مؤكد من حقوق للشعب الفلسطيني في الاستقلال والسيادة بما في ذلك حقه في إقامة دولته المستقلة على أرض فلسطين.

لهذا ذهب غالبية المشاركين في تلك الورشة إلى أن المسألة لاتكمن في البحث عن سند قانوني لإقامة الدولة المستقلة فهذا أمر سهل وميسور استظهاره بسرعة، وقبل تاسيس دولة إسرائيل، وبعد تأسيسها وحتى اليوم لكن المسألة التي ينبغي أن تكون موضوعاً لتبادل الأفكار والخروج باستنتاجات مفيدة ونافعة تتعلق بالإرادة الفلسطينية والسياسية التي تعبر عنها، ثم ترتيب أوضاع البيت الفلسطيني بما يخدم هذه السياسة.

تقدمتُ يومها بمداخلة لازلت أعتقد أنها صالحة وتستجيب لإستحقاقات النقاش الممتد حتى الآن حول ١٩٩٩/٥/٤ يوم انتهاء سريان اتفاقية أوسلو بمرحلتيها المؤقتة والدائمة والإعلان الرسمي الفلسطيني المتكرر عن أن هذا اليوم، هو يوم إعلان الدولة الفلسطينية على الأرض الفلسطينية، قلت ولا أزال أن الإعلان الفلسطيني هذا مفتوح على احتمالات عديدة أوجز أهمها في ثلاثة:

الإحتمال الأول:

أن يكون هذا الإعلان المتكرر «والإنشغال» بدولة ٥/٤ ملهاه تفتعلها قيادة السلطة لمشاغلة الجميع في ظل قناعتها أن طريق أوسلو قد أصبح مغلقاً أو هي كذلك مع وجود حكومة نتنياهو ولم تعد قادرة على تمرير أوسلو أو تسويقه للعديد من القطاعات الجماهيرية التي أملت وانتظرت وأعطت تأييدها للقيادة الرسمية الفلسطينية، ولهذا عملت قيادة السلطة على ملء مساحات من الفراغ في الزمان والمكان تنتظر تبدلات إقليمية ودولية أبرزها تغير في الحكومة الإسرائيلية يمكن الأطراف المعنية من إعادة تحريك العملية السياسية ومغادرة حالة الجمود القائمة.

الاحتمال الثاني:

أن يكون هذا الإعلان بوابة وبداية لإنحدارات نوعية ومصائب كبيرة تلحق بالشعب الفلسطيني وقضيته الوطنية، يمكن التاشير على بعضها بسيناريوهات متعددة تناثرت هنا وهناك في وسائل الإعلام أو بعض الأحاديث السياسية غير الرسمية استذكر منها:

ـ تمديد الوقت لسريان اتفاقيات أوسلو، بعد أن تكون قيادة السلطة «قد بذلت كل الجهود» لتوفير مقومات نجاح الدولة العتيدة فوجدت الظروف العربية والدولية غير مواتية وربما تذرعت بنصائح البعض بعدم إعلان الدولة المستقلة وبالتالي فلم يعد أمامها سوى تمديد فترة الإتفاقيات.

ـ إعادة إحياء الخيار الأردني بصيغ جديدة تتلاءم والشوط الذي قطعته اتفاقيات السلام على الجبهتين الفلسطينية والأردنية خاصة وأن قرارات المجالس الوطنية المتعاقبة كانت تؤكد على الكونفدرالية أو الفدرالية بين دولتين مستقلتين، ويكون الإعلان الشكلاني عن الدولة الفلسطينية فاتحة لهذا الطريق اعتقاداً من أصحاب هذا الخيار بأنه يمكن أن يشكل مخرجاً ولو شكلياً لأزمتهم أو تحقيقاً لشراكة تحافظ وتستجيب لمصالح بدأت تتشكل وتتراكم للعديدين من أصحاب النفوذ في السلطة الفلسطينية على وجه الخصوص.

ـ الإكتفاء بالإعلان عن الدولة وتجميد الأوضاع على ما هي عليه، بسكوت أو تواطؤ إسرائيلي يرفض علناً ورسمياً هذا الإعلان لكنه يقبل به واقعياً طالما أنه لايحقق سيادة على قدس أو معابر أو حدود ولايعطي سيادة حقيقية على الأرض والمياه والبحر والجو وتعلن إسرائيل أن هذا الإجراء خرقاً فلسطينياً للإتفاقات الموقعة وسلوكاً منفرداً يغير من واقع الأراضي المتنازع عليها، وتقوم إسرائيل بدورها بضم الأراضي الفلسطينية التي تستهدف مصادرتها وضمها لإسرائيل.

الإحتمال الثالث:

أن يكون هذا الإعلان تهيأة وإعداداً للجميع وخاصة للشعب الفلسطيني ليكون يوم ٥/٤/ ١٩٩٩ يوماً فاصلاً تعيد فيه وضع القطار الفلسطيني على سكة برنامج الإجماع الوطني - برنامج العودة والدولة المستقلة وحق تقرير المصير.

ومهما تعددت وتنوعت الإجتهادات والمواقف من اتفاقيات أوسلو نصوصاً ومنهجاً فقد أجمع الطيف الفكري والسياسي الفلسطيني بما فيه سلطة الإتفاق ذاتها أن اتفاقيات أوسلو لاتلبي الحد الأدنى من حقوق وأهداف الشعب الفلسطيني، وتشكل تراجعاً عن قرارات الشرعية الدولية التي تؤكد على فلسطينية الأرض المحتلة، فأخضع هذه الأراضي للتفاوض وحولها إلى مناطق متنازع عليها مع استعداد ضمني ومعروف للجميع، الأصدقاء والأعداء على السواء بأن السلطة مستعدة للتنازل عن أقسام من هذه الأرض والمفاصلة بين السلطة والإحتلال هي على مواقع هذا الجزء ومساحته.

وشكل هذا الإتفاق تراجعاً عن الدولة الفلسطينية التي أعلنت في تشرين ثاني ١٩٨٨ والتي حازت على اعتراف ما يزيد عن مائة دولة من دول لازالت سفارات فلسطين قائمة في العديد منها.

وأحدث هذا الإتفاق انقساماً كبيراً في صفوف الشعب الفلسطيني، ويكاد يبدد دور ومكانة منظمة التحرير الفلسطينية الكيان المعنوي والسياسي الناظم والموحد لشعبنا في الوطن والشتات.

لا أريد الإسترسال في النتائج السلبية الكبيرة والعميقة التي نتجت عن اتفاقيات أوسلو، ودون أن أغفل انحسار الإحتلال عن ما يقرب من ٧٪ من أراضي الضفة والقطاع، وتأسيس السلطة الفلسطينية على هذه الأرض باعتبارها حقائق نتجت عن الإتفاق، ولكنني أسارع للقول بأن التاريخ كان مفتوحاً على ما هو أفضل بكثير من هذه النتائج لو دفعت القيادة الرسمية لـ م.ت.ف بسياسة أخرى تقوم على استمرار الإنتفاضة الباسلة ودعمها واستذكر ما كان يتم تداوله اسرائيلياً من احتمالات الإنسحاب من قطاع غزة.

المقام هنا ليس مقام مساجلة بين منهجين، وسياستين انتجتهما اتفاقيات أوسلو إذ يمكن أن يشكل يوم ١٩٩٩/٥/٤ فرصة تاريخية «لتجاوز هذا الإنقسام» وإعادة وصل ما انقطع بما يوحد الشعب من جديد، ويحشد ويُفعل كل طاقاته وبما يؤسس لنهوض وطني يعيد الإرتباط للشعب ببرنامجه الوطني وقيادته التي تناضل من أجل تطبيق هذا البرنامج، ويعيد للقضية الفلسطينية وهجها ومكانتها كقضية قومية لكل العرب، وتعود مطالبتنا للدعم والإسناد والتأييد الدولي، على أساس من قرارات الشرعية الدولية التي تؤكد على حقنا في العودة والإستقلال والسيادة الوطنية وعلى حقنا في كل وسائل الكفاح لتحقيق ذلك.

هذه الفرصة التاريخية يمكن أن تتحقق إذا قامت السلطة الفلسطينية عشية ٥/٤ القادم بالإعلان الصريح عن قيام الدولة الفلسطينية على أرض فلسطين، وأن الأراضي الفلسطينية المحتلة هي أراضي للدولة الفلسطينية، لاتزال تحت الإحتلال الإسرائيلي، وأن النضال سيستمر بكل الطرق والوسائل لتحريرها، مع التأكيد على النضال من أجل تحقيق السيادة الكاملة للدولة العتيدة على أرضها وحدودها ومعابرها ومياهها وأجوائها وفقاً للقوانين الدولية التي تنظم كل ذلك، والتأكيد على حق اللاجئين والنازحين الفلسطينيين بالعودة إلى ديارهم وفقاً لقرارات الشرعية الدولية والقرار ١٩٤ الصادر في ١٩٤٨/١٢/١١.

إن هذا الخيار يشكل «انقلاباً ثورياً» على الواقع والمسار السياسي الراهن، يتطلب أن تتوفر له أعلى مقومات ممكنة للصمود والقدرة على إنجاحه ومتابعة السير على الطريق الذي يشقه.

وأولى مقومات النجاح، بل الحلقة المركزية والحلقة الأساس هي الحلقة الفلسطينية توحيد البيت الفلسطيني، وترتيب وتقوية دعائمه وتعزيز صموده، فالشعب الفلسطيني يصل إلى حوالي تسعة ملايين إنسان أكثر من نصفهم في الشتات ويملك هذا الشعب إمكانيات وطاقات كبيرة إذا تم حشدها في مواجهة الإحتلال تستطيع أن تحدث تغييراً جدياً في معادلة ومجرى الصراع مع الغزوة الصهيونية والإحتلال الإسرائيلي الجاثم على أرضنا، ويمكن أن تنطلق إرادة هذا الشعب لتتجاوز العديد من العقبات والإشكاليات القائمة الآن والتي تبدو غير مواتية للنهوض ومجافية له، ولعل استذكارنا للإنطلاقة المتجددة للثورة الفلسطينية إثر هزيمة حزيران ١٩٦٧، رغم اليأس الذي كاد أن يحطم العرب كلهم، واستذكارنا أيضاً لإنطلاقة الإنتفاضة بعد الإجتياح الإسرائيلي للبنان وتشتيت قوى الثورة الفلسطينية وضعف حضور وفاعلية المنظمة إلى الحد الذي دفع الكثيرين بمن فيهم بعض العرب إلى التفكير بالتطاول على المنظمة ودورها وتمثيلها للشعب الفلسطيني، استذكارنا لهذه المحطات الكفاحية يؤشر على ما يمكن أن يبدعه هذا الشعب من أشكال ووسائل كفاحية، إذا ما توفرت له القيادة والسياسة التي تعيد الإعتبار لبرنامجه الوطني.

على هذه القاعدة نعمل من أجل إعادة التضامن العربي مع الشعب الفلسطيني وقضيته الوطنية، وعلينا أيضاً نحشد التأييد والإسناد العالمي، ونفعّل ممثليات منظمة التحرير الفلسطينية والسفارات باعتبارها سفارات دولة فلسطين على أرض فلسطين، ونفتح الباب لتفاعلات دولية جديدة قطع الطريق عليها هذا التفرد الأمريكي بانحيازه الثابت لإسرائيل.

يجتهد الكثيرون في محاولة التعرف على ردود الفعل الإسرائيلية على خطوة كهذه ويوردون العديد من الإحتمالات أبرزها:

١- أن تقوم إسرائيل باجتياح مناطق السلطة الفلسطينية وإعادة احتلالها من جديد.

٢- أن تغلق إسرائيل الحدود والمعابر كلها وتفرض حصاراً محكماً على الفلسطينيين في الضفة والقطاع.

٣- أن تعلن إسرائيل ضمها لباقي الأراضي الفلسطينية التي تقع خارج مناطق سيطرة السلطة الفلسطينية.

٤- أن تكتفي إسرائيل بإدانة هذه الخطوة، واعتبارها قراراً منفرداً يخرج عن الإتفاقيات الموقعة معها، وترفض التعامل مع هذه الخطوة ونتائجها وتحتفظ بحقها في الرد المناسب عليها.

كل هذه الإحتمالات واردة، والتدقيق فيها يظهر أن حالة الجمود والعجز التي تظهر فيها القيادة الفلسطينية، مع استمرار مصادرة الأرض الفلسطينية وتوسيع وإقامة المستوطنات والطرق الإلتفافية عليها مع تنكر إسرائيل لأي شكل من أشكال السيادة الفلسطينية هي أخطر من كل هذه الإحتمالات.

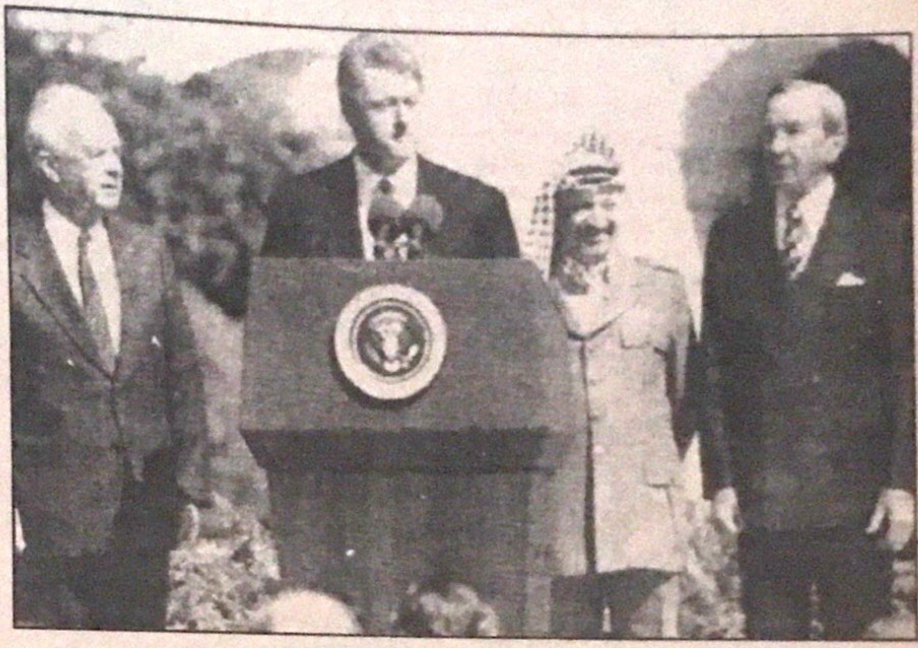
فإقدام إسرائيل على إعادة احتلال الضفة والقطاع يعني الإشتباك المسلح بين شعبنا وقوات الاحتلال على نطاق واسع وشامل لم يشهده هذا الصراع من قبل، أما الحصار الشامل فقد جربه شعبنا مرات ومرات، وينبغي أن نعد العدة له بتوفير كل ما يساعدنا على الصمود والقدرة على تحريك أوسع أوساط الرأي العام العالمي لمجابهته.

والضم الإسرائيلي لأراضي فلسطينية جديدة لايغير نوعياً من طبيعة الصراع، ولاحتى من السياسات الإسرائيلية القائمة الآن وعلى أية حال فمثل هذ الاحتمالات وسبل مواجهتها يمكن أن تكون موضع بحث فلسطيني واسع تشارك فيه العقول والكفاءات والقوى الفلسطينية بتنوع رؤاها ومنطلقاتها.

في مداخلتي التي قدمتها في أغسطس (آب) ١٩٩٨ قلت أن السلطة الفلسطينية لاتمارس وفق ما يوحي بانها جادة في توفير النجاح لخطوة إعلان الدولة الفلسطينية على أرض فلسطين الأمر الذي يطرح علامة سؤال كبيرة على جديتها في هذا الإعلان، واليوم وبعد خمسة أشهر وقبل ثلاثة أشهر من استحقاق ١٩٩٩/٥/٤ أقول أن السلطة لاتمارس ما يوحي بأنها جادة في توفير هذه المقومات، على عكس ذلك فقد ظهرت العديد من المؤشرات على تراجع السلطة عن إعلان هذه الدولة، بكل ما يعنيه ذلك من إضرار بهدف رئيسي من أهداف النضال الوطني الفلسطيني المعاصر، ويحوله إلى سلاح تكتيكي يمكن أن يُشهر أو يُعاد طيه وفقاً لمقتضيات التكتيك الآني والحسابات القصيرة النظر■■

حقيقة مصطلح إعادة الإنتشار

د. أحمد صدقي الدجاني



هذا المصطلح «إعادة الإنتشار» الذي لايزال يتردد في الأخبار منذ توقيع اتفاق أوسلو في ١٣/٩/١٩٩٣، ماذا يعني بدقة؟.

سؤال يبرز يومياً أمام كثيرين من أبناء أمتنا وهم يتابعون قضيتهم الفلسطينية ومسار عملية التسوية الجارية. وقد لفتهم أن هذا المصطلح هو الذي جرى استخدامه في آخر حلقة من سلسلة اتفاقات أوسلو، وهي اتفاق «مذكرة نهر واي» الذي تم إبرامه بإشراف أمريكي يوم ٢٣/١٠/١٩٩٨، شأن الحلقات السابقة. فالبند الأول في هذا الإتفاق عنوانه «إعادات انتشار إضافية».

يقترن بهذا السؤال سؤال آخر حول الفرق بين مصطلح «إعادة الإنتشار» ومصطلح «الإنسحاب» ولماذا لم يرد هذا المصطلح الثاني في سلسلة اتفاقات أوسلو؟ وملاحظ أن الخلط بين المصطلحين شائع بين كثيرين بفعل شيوعه في وسائل الإعلام. وقد تردد هذا الخلط في ندوات كثيرة في صورة الحديث عن «انسحاب الجيش الإسرائيلي» من أراض فلسطينية محتلة، «لأن إعادة الإنتشار هي في واقع الأمر انسحاب» على حد قول الذين يخلطون بين المصطلحين.

الحقيقة هي أن إعادة إنتشار الجيش الإسرائيلي لاتعني انسحابه من الأراضي الفلسطينية التي احتلها عام ١٩٦٧. والمصطلحان بالإنجليزية هما Withdrawal, redeployment وهناك فرق قائم بين المصطلحين. فالإنسحاب يعني خروج قوات الإحتلال من الأراضي المحتلة التي يستعيد أصحابها سيادتهم عليها ويصبحون أحراراً في إدارتها في جميع جوانب الحياة وفق حقوق ممارسة السيادة، كما أقرها القانون الدولي لكل دولة. بينما «إعادة الإنتشار» تعني انتقال قوات الإحتلال من موقع إلى آخر في الأراضي المحتلة، مع استمرار السيادة على هذا الموقع الذي يتم الإنتقال منه، ومتابعة الإدعاء بأن هذه السيادة حق نابع من كون تلك القوات موجودة في أراضيها. وهكذا فإن أي موقع تخرج منه قوات الإحتلال في «إعادة الإنتشار» يبقى تحت سيادة المحتل المفروضة بالقوة، لأن هذا الذي يحتل لايعترف بأنه «ممثل» ويتمسك بزعم أنه صاحب الأرض.

إن هذا الفرق بين مصطلح الإنسحاب ومصطلح «إعادة الإنتشار» وثيق الصلة بالفرق بين مصطلح «أراض محتلة» ومصطلح «أراض متنازع عليها». فالأول يعني أن قوة احتلال جاءت واحتلت بالقوة تلك الأراضي، منتهكة القانون الدولي الذي لايجيز احتلال أراضي الغير بالقوة. فهي في عرف القانون الدولي «قوة محتلة» ولابد من «انسحاب» جيشها من تلك الأراضي. بينما المصطلح الثاني يعني أن هناك أراض متنازع عليها بين طرفين كل منهما يزعم أحقيته فيها، وأن أحد الطرفين يسيطر عليها ويتمسك بهذه السيطرة، بينما الطرف الآخر يناضل لإستعادة السيطرة على أراض كانت له دائماً من قبل.

هنا يبرز سؤال «كيف ومتى ظهر مصطلح «أراض متنازع عليها» للدلالة على الضفة الغربية وقطاع غزة من أرض فلسطين؟ ومعلوم أن جميع قرارات الأمم المتحدة التي صدرت بعد قيام «إسرائيل» باحتلالهما عام ١٩٦٧ اعتبرتهما مع سيناء المصرية والجولان السورية أراض محتلة»؟

والجواب أن هذا المصطلح فرضته الولايات المتحدة الأمريكية على قيادة منظمة التحرير الفلسطينية في ربيع عام ١٩٨٨، ضمن

الشروط التي وضعتها للحوار مع هذه القيادة، في عهد الرئيس ريغان ووزير خارجيته «شولتز». ومن هذه الشروط «الإعتراف بإسرائيل» الذي تمت تلبيته في ٨٨/١٢ في رسالة حملها وزير خارجية السويد. وقد نظمت السويد مؤخراً احتفالاً بمضي عشر سنوات على تلك الحادثة.

هذا المصطلح «أراض متنازع عليها» بدأ استخدامه فور تسلم الرئيسين ريغان وجورباتشوف رسالة من قيادة المنظمة، ورد فيها القول إن فلسطين وطن لشعبين الفلسطيني واليهودي، واليهودية كما هو معلوم دين وليست قومية. وقد تخلت الإدارة الأمريكية منذ ذلك الحين عن استخدام المصطلح الأممي «الأراضي المحتلة» للدلالة على الضفة الغربية وقطاع غزة، وصارت تطلق عليهما «أراض متنازع عليها». وحاولت بعد مؤتمر مدريد أن تفرض هذا المصطلح على الأمم المتحدة. ونجحت في أن تجعل الإنطلاق في صياغة اتفاقات أوسلو منه، تمشياً مع الرغبة الصهيونية من جهة، وسيراً على التجربة الأمريكية في اغتصاب أراضي «السكان الأصليين» «شعب أمريكا» المعروف بالهنود الحمر.

يتجلى الفرق بين مصطلح «الإنسحاب» ومصطلح «إعادة الإنتشار» حين نتأمل كيف تعاملت سلسلة اتفاقات أوسلو مع الثاني منهما. فمصطلح «إعادة الإنتشار» هو المصطلح المستخدم في اتفاق يتعلق بالحكم الذاتي وليس «بالإستقلال» الذي يفرض «انسحاب» قوات الإحتلال تمشياً مع منطق «التحرير».

بدأت هذه المعاناة حين اكتشف الأهل في مدن الضفة حقيقة معنى هذا المصطلح عملياً عند مباشرة أول إعادة انتشار من المدن فئة أ، ووجدوا أنه لايعني انسحاب قوات الإحتلال الذي يعبر عن التحرير، كما أوحى لهم «اعلام الترويج». وقد أبدع شاعر فلسطيني من نابلس تصوير مرارة هذا الإكتشاف، هو الأستاذ «محمد حلمي الريشة»، ونشر ماكتبه في «أخبار الأدب» القاهرية في ١٩٩٦/٥/٥، بعد ستة شهور من التجربة التي عاشها. وأذكر أنني بعد أن قرأت ما كتب سارعت بالكتابة إلى أخبار الأدب مشيداً بروعة تصويره، واحتفظت بمقاله الذي نشر في زاوية «ضواحي الفضفضة» بعنوان «الأزهار لاتليق بخروج الغزاة». وأكتفي في هذا المجال باقتطاف بعض ما جاء في ذلك المقال.

لقد جعل الشاعر مقاله في حالتين أولى وثانية، استهل الأولى قائلاً «المكان: نابلس مدينة النور والنار. الزمان الرابع عشر من شهر كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩٥، الوقت: الساعة الثامنة والربع مساء. حالة الجو: مطر خفيف يغسل بنعومة كل ما تستطيع يداه المرور عليه، في هذه اللحظات العادية في شتاء عادي، في مدينة غير عادية. الجو العام: حركة مطردة في الشوارع والمصابيح المضاءة. كان الحياة تبعث من جديد». وبعد هذا الإستهلال يتحدث الشاعر كيف رنّ منبه الهاتف في محطة التلفاز المحلية التي يقدم فيها برنامجه الأسبوعي «بانوراما نابلس»، وحين رفع السماعة جاءه صوت عال يقول: «إنهم سيتركون المدينة بعد قليل» أي قبل يوم من الموعد المحدد. ويدور حوار بينه وبين صاحب الصوت ثم يصف الشاعر مشاعره في «نجوى» مع نفسه يبرز فيها السؤال«كيف سيرحلون من دون وداع على طريقتنا؟ ويتكرر هذا السؤال من آخرين «كيف يفعلونها بدون وداع، وقد قدموا لنا قبل أيام فقط آخر شهدائنا؟ ويتابع الشاعر وصف مشهد وصول أول سيارتين تابعتين للامن الفلسطيني، جعلت الغزاة الذين حاصرهم أهل المدينة يتنفسون الصعداء، حيث سيتمكنون من الخروج بدون مواجهات من مبنى الحاكمية العسكرية. ويصف غناء المواطنين وزغاريدهم، ومنظر أمهات الشهداء والمعتقلين الذين كانوا في هذا المكان ذات يوم، «ومنهم من أطلق سراحه، ومنهم من لم ير حريته بعد» فـ «أياديهم تلطخت بالدماء اليهودية» هكذا الزعم ولكن.. مابال أياديهم التي تلطخت بدمائنا في المجازر التي كانت ولاتزال نمطاً مميزاً من انماط حياتهم؟ مفارقة رهيبة في «زمن السلام» الذي يزعمون أيضاً!. ويتابع الشاعر وصف «الحالة الأولى» في ذلك المساء وكيف دخل المبنى العسكري كما كان يسمى، وهو «معقل الطغاة» الذي ورثوه عن الإستعمار البريطاني البغيض الآثم، إلى أن وصل إلى مبنى السجن المركزي «الذي يقف مثل قلعة عجوز شاهدة على عذابات الفلسطيني الكثيرة. هنا حرم الجسد من النوم بهدوء، وحرمت الروح من التحليق في سمائها. هنا حققوا معي لساعات طويلة. هنا علقت أقدامي كذبيحة لم تمت بعد. هنا رأيت أشباح الموت كالغربان تحط على رأسي وتنقر لي عنقي كل ساعة قضيتها في هذا الركن الأضيق من جدي النحيل. أقوال كثيرة تسمعها من الذين كانوا هنا أسارى ذات يوم.. ولكن.. أين الزنازين وأدوات الشبح والثلاجات الخشبية كأنها صنعت للدجاج؟ لقد أزيلت جميعها كي لاتكون مشاهدة على أيديهم الملطخة بالدماء الفلسطينية، وعلى براءتهم براءة الذئب من دم يوسف الصديق عليه السلام».

ينتقل الشاعر إلى وصف الحالة الثانية قائلاً بعد ثلاثة أو أربعة أيام لا أكثر من «خروج بني دولة إسرائيل من المدينة». «لم يخرجوا منا، صدقت/ لم يخرجوا منّا، ولكن حولنا صاروا كدائرة المكان/. لم يخرجوا منا أصدق ألف مرآة أمامي. لا أصدق أن لي هذا الزمان/.... ....، لم يخرجوا منّا، صدقت/ لم يخرجوا.. إلا إلي.. هذا المكان». ثم يخاطب الشاعر السياسيين «صدقوني، أنا المبدع الفقير إلى الله تعالى. إنني لا أحتمل رؤيتهم وهم ماكثون داخل آلة قبيحة الشكل والمضمون يشطرون جغرافيا المدينة إلى شطرين نصفين، صحيح وإلى مدى قصير ما، إنهم كالدود الغريب. قد غادروا حبة التفاح من الداخل، وغدوا يدورون حولها ككوكب باهت لايضيء». ويشير الشاعر إلى «الدوريات المشتركة»، وكيف أنه لايستطيع احتمال هذا المشهد يومياً ولمرات عديدة، كأنها السكين الملوثة التي تحاول تقطيعي بجيئتها وذهابها. ويختتم بالحديث عن مشكلة أعقد تتمثل في «المحاولة اليائسة لإقناع طفلي الصغير، بأن عملية تغيير قطعة القماش (يقصد العلم) سيغير الصورة التي تركت حضورها القديم داخل ذاكرة الطفل، وعبثاً كانت المحاولة.. وصدقوني.. إنني أكثر من طفلي لا أستطيع أن أصدق ما جرى.. أو ما أرى».

لقد تتالت المعاناة من «إعادة الإنتشار» الذي لايعني «الإنسحاب» بدءاً من «المعابر» إلى الحواجز إلى الحصار، مع استمرار قتل شباب مقاوم واعتقال آخرين وإطلاق الرصاص المطاطي على المحتجين، واستمرار حبس الأبطال المقاومين. وهكذا ادرك أهلنا الفرق بين «إعادة انتشار» قوات الإحتلال و«انسحابها»، وبين «الحكم الذاتي» والإستقلال، فزاد عزمهم على متابعة المقاومة بكل صورها وابعادها حتى يتحقق «التحرير»، وقوي تطلعهم إلى يوم خروج «الغزاة» الحقيقي من الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة عام ١٩٦٧، توطئة لتحرير فلسطين من الصهيونية العنصرية وطرح الحل الحضاري للمسألة اليهودية التي نشأت في الغرب حين ينبذ اليهود الصهيونية ويعيشوا مستأمنين في ظل حضارتنا.

بقيت كلمة في هذا الحديث هي الإشارة إلى خطاب الرئيس الأمريكي في غزة يوم ١٢/١٤/ ١٩٩٨ الذي يلاحظ من قرأه بعناية أنه كان أسير منطق «إعادة الإنتشار» وليس «الإنسحاب»، منطق اغتصاب الأرض الفلسطينية بزعم أنها أرض متنازع عليها وليس أرضاً محتلة، منطق دعوة الفلسطينيين إلى قبول «معزل» يعيشون فيه والكف عن المقاومة، وليس متابعة النضال من أجل التحرير والإستقلال.

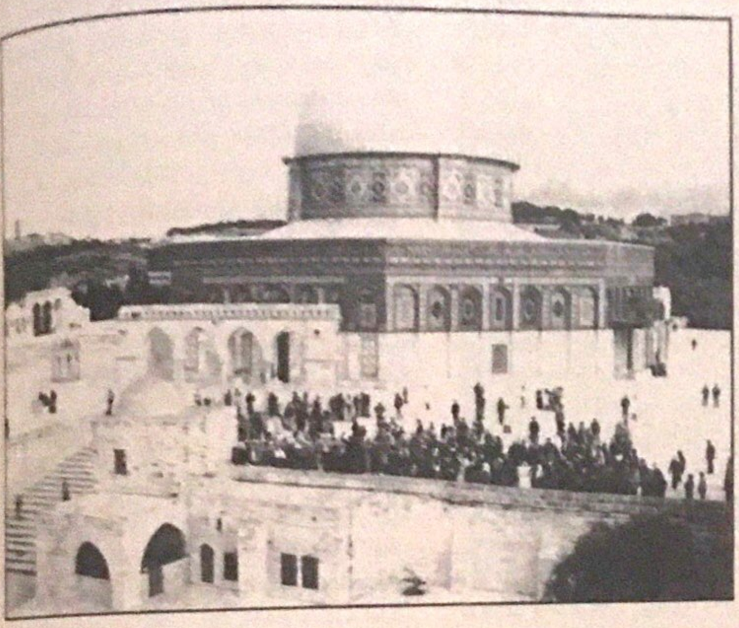
إن شعبنا الفلسطيني وأمتنا العربية معه مصممان على متابعة النضال من أجل التحرير الاستقلال، وطي صفحة هذا المصطلح «إعادة الإنتشار»■■

(*) مفكر فلسطيني مقيم في القاهرة

القدس في درب آلامها..

وحش الإستيطان والرد المطلوب

أحمد جابر



ثمة مشهدين خيما على صورة القدس الأسبوع الماضي ورسالتين أرسلتا من القدس. المشهد الأول جاء يوم الجمعة: صورة آلاف المسلمين يصلون في المسجد الأقصى وآلاف المسيحيين يصعدون درب الآمال تتقاطع طرقهم ويصطدمون جميعهم بالحواجز الإسرائيلية يسقط عجوز مسلم تعباً أمام حاجز الجنود المدججين، ويتعثر مسيحي يحمل صليبه على طريق المسيح، وكلاهما يعيدان الصرخة الأولى للمدينة المغتصبة التي تئن تحت الإحتلال، والشبيبة المسلمة تفتح الطرق أمام مسيرة الألم المسيحية مسيرة الفلسطينيين جميعاً.

مشهد ثان آلاف الجنود والمستوطنين المتطرفين يقتحمون المدينة في يوم الفصح اليهودي في استعادة لإحتلال المدينة الأول فارضين إرهابهم ولا قدرتهم على التسامح أو فهم مراعاة حقوق الآخرين، مستَغمِرٌ ومستَغمَر هكذا تجري الأمور في القدس ببساطة ودون تعقيد.

أما الرسالتين فجاءت الأولى من الإتحاد الأوروبي بزيارة خمسة عشر دبلوماسياً غربياً إلى بيت الشرق في رسالة تضامن تركت وقعاً طيباً عند الفلسطينيين، وهي ليست مجرد خطوة للتعبير عن ثبات الموقف الأوروبي نحوالقدس برفض الإعتراف بها عاصمة لإسرائيل باعتبارها مدينة محتلة - بشطريها - وليست أيضاً مجرد رمي قفاز تحدي في وجه حكومة بنيامين نتنياهو، الذاهبة في سلوكها نحو القدس إلى مداه، وهو سلوك مرفوض وغير شرعي بكل المعايير، إلا أنها فوق ذلك قفاز تحدٍ وإنذار في وجه أصحاب القضية لتذكيرهم بالخطر الداهم الذي تتعرض له مدينتهم، المهملة بعذاباتها، وما يخطط لأهلها.

الرسالة الثانية هي أيضاً رسالة إنذار وجهها نتنياهو بإصدار قرار بإغلاق ثلاث مؤسسات فلسطينية في القدس في حملة منظمة لتهويد المدينة وإلغاء أي وجود فلسطيني فيها.

بدأ المخطط الإسرائيلي للإستيلاء على القدس منذ اللحظة الأولى لإعلان قيام الدولة العبرية واحتلال المدينة العربية وتدمير أحيائها بالكامل لبناء مدينة يهودية، وإعادة إسكانها بالمستوطنين بعد طرد سكانها العرب ثم إعلانها في نفس الوقت عاصمة لإسرائيل في مخالفة صريحة وواضحة للقرار الأممي رقم ١٨١ الصادر في نوفمبر ١٩٤٧ الذي ينص على اعتبار القدس منطقة مدولة، وتلك كانت المرحلة الأولى الخطوة الأولى التي حددت بالتقسيم المأساوي للمدينة بموجب خط الهدنة، الذي كرس أمراً واقعاً غير شرعي كون أن إعاقة تنفيذ القانون الدولي بقوة السلاح لايلغي شرعية هذا القانون واستمرار صلاحيته.

بالنسبة لإسرائيل كان ذلك وضعاً مؤقتاً سرعان ما تم القفز عنه في عدوان ١٩٦٧، عندما أكملت إسرائيل إحتلال المدينة معلنة توحيدها عاصمة لها، وبعد أن أنهت مهمتها في القسم الغربي بتهويده كاملاً، بدأت خطة جديدة في القسم الشرقي ومنذ اللحظة الأولى عملت إدارة الإحتلال على تثبيت وقائع جديدة كأمر واقع لايمكن تجاوزه فيما بعد وقد شمل ذلك مستويين، المستوى الأول تثبيت واقع الوجود العربي، وعدم السماح له بالتطور كخطوة أولى نحو تقليصه ثم إنهائه، والمستوى الثاني تثبيت واقع جديد استيطاني يهودي يقوم على مواصلة تهويد المدينة من حي لحي، وشارع فشارع، وبيت فبيت، وصولاً إلى تهويدها بالكامل كماحصل في القسم الغربي.

من أجل تحقيق هذا الهدف بمستوييه شنت إسرائيل حرباً شاملة مازالت مستمرة على الوجود العربي الإسلامي والمسيحي وعلى مستويات وجبهات متعددة توصف على الأقل بأنها عملية تطهير عرقي مبرمج بوسائل إجرامية، بهدف إزالة كل أثر عربي في المدينة وإعادة تشكيلها بشكل ملفق ومغاير للتاريخ وحقائقه وللجغرافيا وقوانينها ومعايير العدالة الدولية، كعاصمة تاريخية للدولة العبرية، ولعل أول أشكال هذه الحرب جرى على جبهة الديمغرافيا وتحت شعار «أرض أكثر عرب أقل» انطلقت ادارة الإحتلال في هجمة مسعورة بمجرد احتلال المدينة إلى

تشكيل لجنة وزارية بمشاركة الجيش وبلدية القدس - والتي كان يديرها حزب محلي متطرف هو حزب قدس واحدة - وضعت في أول مهماتها عدم السماح للعرب بتجاوز نسبة ٢٢٪ من السكان، مستخدمة وسائل متعددة ابتداء من منع البناء وهدم البيوت بحجة عدم حصولها على تراخيص أو بحجج أمنية وإقامة شبكة معقدة من القوانين المعدلة لحصول أي فلسطيني على ترخيص بناء، فمنذ ١٩٦٧ حافظت إسرائيل على نظام حصص مجحف للغاية فلم يحصل الفلسطينيون على حقوق مشاريع بناء تتعدى ١٠٪، بينما بلغت النسبة للإسرائيليين ٩٠٪، وكذلك سنت قوانين أدت إلى إلغاء حقوق المواطنة لعدد كبير من سكان المدينة بحجة عدم إقامتهم فيها أو أنهم ليسوا من أبنائها الأصليين وغيرها من الحجج، وقد بدأت السلطات الإسرائيلية ومنذ ١٩٩٥ بسياسة منع دخول المواطنين العرب من الضفة إلى القدس ضمن سياسة عزل المدينة وفصلها عن الضفة، ومازال ٨٠ إلى ٨٥ ألف مقدسي مهددين بإلغاء هوياتهم المقدسية فلا يستطيعون العودة إلى القدس لأسباب المنع وغيرها ولاهم يستطيعون البقاء خارجاً مع الإحتفاظ بهويتهم.

وفي المقابل قامت السلطات المحتلة بالعمل على زرع البؤر الإستيطانية في المدينة القديمة عبر مشاريع مختلفة وحصل التحول الخطير عام ١٩٩٣ عندما أصبح العرب ولأول مرة في التاريخ أقلية في مدينتهم بنسبة ٤٩٪ مقابل ٥١٪ من اليهود، حيث يعيش اليوم حوالي ١٨٠ ألف مستوطن في عشرة أحياء استيطانية كبرى في القدس الشرقية وجاء ذلك نتيجة ضم مستعمرات محيط القدس إلى المدينة تحت تسمية القدس الكبرى واستمرار التمدد داخل الأحياء العربية وهذا أدى إلى تحرك فلسطيني معاكس على شكل هجرة معاكسة إلى داخل المدينة في محاولة للحفاظ على الوجود العربي حيث ازدادت نسبة العرب في البلدة القديمة-إطراداً ٢٥ ثم٢٧ ثم٢٩ إلى ٣٠٪ مما دفع إسرائيل إلى دق ناقوس الخطر من جديد وضم مستعمرات جديدة خريف ١٩٩٨ هي معاليه ادوميم شرقاً وجبعات زئيف شمالاً وكتلة عتصيون جنوباً وجميعها خارج الحدود الإدارية للقدس.

وعلى صعيد آخر عملت إسرائيل على تفريغ المدينة من مضمونها العربي الثقافي عبر محاصرة الأنشطة وتغيير معالمها وتدمير البنية الإقتصادية بمنع الأنشطة الإقتصادية الفلسطينية وعرقلتها بقوانين معقدة مما دفع الفلسطينيين لنقل مركز نشاطهم إلى رام الله لإستحالة الوضع في القدس، وكذلك عملت إسرائيل على تدمير مؤسسات المدينة عن طريق عزلها كما يحدث مثلاً لمستشفى المقاصد فهو من جهة يجب أن يبقى في القدس كرمز فلسطيني مهم ومن جهة أخرى لايستطيع تقديم خدماته للفلسطينيين كونهم ممنوعين من الوصول إليها وهذا حال المسرح الوطني مثلاً حيث يتساءل القائمون عليه بمرارة لمن نقدم عروضنا إذا كان الفلسطينيون لن يتمكنوا من الحضور؟!

تلك كانت مجرد إشارات لما يحدث، فالوضع الإستيطاني لايطاق كما يقول خليل تفكجي مدير مركز الخرائط والجغرافيا في بيت الشرق، فأعمال الإستيطان تجري يومياً وكذلك عمليات القضم المنظمة للأراضي العربية من الضفة، وفي هذا الصدد يشير التفكجي إلى أن مساحة القدس الشرقية خلال العهد الأردني كانت ٦,٥كم² وصلت حالياً تحت شعار «القدس الكبرى» إلى ٣٤كم2 تم قضمها من الضفة، فوصلت مساحة القدس إلى ١٥٪ من مساحة الضفة والنقلة حصلت على مستويين فقد ارتفع عدد اليهود في المدينة من صفر إلى ١٨٠ ألف مستوطن وارتفع عدد الوحدات السكنية من صفر إلى ٤٥ ألف وحدة سكنية يتم تعزيزها يومياً ببناء احياء جديدة وسط الأحياء العربية وهو ما يحدث حالياً في الشيخ جراح وراس العمود، كما كشف عن أن منظمة عطيرت كهونيم المتطرفة والمكلفة بتهويد البلدة القديمة قد أسست ٣٧ منزلاً ومدرسة في قلب المدينة وقدمت للحكومة مخططاً للسيطرة على منطقة (رباط الكرد) قرب باب الحديد، حيث ما يطلقون عليه اسم المبكى الصغير كامتداد لحائط البراق الذي يسمونه المبكى، وهذا المكان هو وقف إسلامي، وتزداد مخاوف الفلسطينيين من أن هذه الأعمال تمهد لمحاصرة الحرم الشريف تمهيداً للإنقضاض عليه.

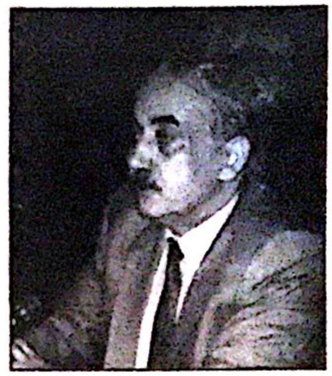
وتهدف إسرائيل من وراء مشروع القدس الكبرى إلى قضم الضفة وإيجاد عمق استراتيجي أمام أي إعادة انتشار أوانسحاب مستقبلي وبالتالي الحؤول دون تجاوز الحد الأدنى من الأرض المسموح بتسليمه للفلسطينيين، خصوصاً إذا علمنا أن نسبة ما أعلنته إسرائيل من أراضي دولة في الضفة يعادل ٧٠٪ من مساحتها، هذا من جهة ومن جهة أخرى التمويه على الرأي العام بأن الإستيطان يحدث داخل القدس وداخل المناطق اليهودية الحيوية في الوقت الذي تضم مساحات شاسعة من الأرض تحت شعار (قليل من العرب كثير من الأرض)، يترافق ذلك مع إغلاق القدس بشكل كامل وفصلها عن الضفة الغربية، ليس هذا فقط بل أيضاً أدى ذلك إلى فصل شمال الضفة عن جنوبها والإضطرار للإنتقال من بيت لحم جنوباً إلى رام الله شمالاً لسلوك طريق فرعي خطير جداً يضاعف الوقت اللازم ثلاث مرات.

يحدث هذا كله في ظل اتفاقات أوسلو الكارثية التي قذفت بقضية القدس إلى الهاوية بعد تأجيلها إلى المرحلة النهائية للمفاوضات دون أي ضمان إسرائيلي بالإبقاء على الأمور كما هي، وبالتالي إطلاق يد الإحتلال لإعادة ترتيب الخارطة كأمر واقع جديد، تمهيداً لفرضها كحقائق جغرافية على طاولة المفاوضات، وفي سياق معمعة المفاوضات بلغت المساحة المصادرة من الضفة منذ أوسلو وحتى شتاء ١٩٩٥ أكثر من ٦٧ ألف دونم بينما تشير مصادر السلطة إلى أكثر من ٧٠ ألف دونم وذلك في عهد حزب العمل الذي يتم التباكي عليه حالياً. ولعل هذا يقودنا إلى التذكير بوحدة موقف الحزبين الكبيرين في إسرائيل تجاه القدس، فكلاهما يرى فيها قضية استراتيجية لايمكن التخلي عنها، هذا على حد سواء عند نتنياهو أو باراك.

والآن، في ظل ما تتعرض له المدينة يبقى السؤال مطروحاً: ما العمل؟ فالشعارات وحدها لاتستطيع حماية المدينة ولا تحريرها، والمطلوب الآن تحرك واسع فلسطيني وعربي وإسلامي وعلى المستوى الدولي للدفاع عن المدينة ووضع قضيتها في واجهة التحرك الإعلامي والسياسي ولعل أضعف الإيمان تقديم الدعم لأهل المدينة مادياً أو معنوياً ليتمكنوا من الصمود ومواصلة المعركة التي يخوضونها لوحدهم حتى الآن، وتقديم الدعم للمؤسسات الفلسطينية ابتداء من بيت الشرق وانتهاءً بالدفاع عن المراكز المهددة بالإغلاق، نقول أن ذلك أضعف الإيمان أما أكمله فهو ما يقوم به الشبان المجهولون الذين ربما بدأوا حرب تحرير بالسكاكين لا نعرف آفاقها، ولكننا واثقون من وجود دفق كبير من المقاومة والحياة في قلب المدينة وأهلها، فإسرائيل لن تتخلى عن القدس ولا عن أي أرض إلا إذا أدركت أن مشروعها الإحتلالي خاسر، وإلا إذا دفعت ثمناً باهظاً، وفي ظل نخبة سياسية من أمثال شارون ومجتمع ينحو نحو التطرف والفاشية أكثر فأكثر، يبدو هذا الطريق الوحيد إلى جانب استخدام كل الوسائل الممكنة.

وأخيراً إذا كان الإسرائيليون يرفضون إعادة القدس الشرقية فلماذا لانتمسك بالقانون الدولي الآن الذي يقول بعدم شرعية احتلال القدس كاملة، لماذا لايكون شعارنا (القدس الموحدة الفلسطينية) رداً على شعارهم (القدس الموحدة الإسرائيلية) ■■

د.جورج حبش يبرق للأستاذ عبد الحميد مهري الأمين العام للمؤتمر القومي العربي



الأخ الأستاذ عبد الحميد مهري
الأمين العام للمؤتمر القومي المحترم
تحية العروبة

في هذه الظروف العصيبة التي تعيشها أمتنا العربية، ينعقد مؤتمركم القومي العربي التاسع لمواجهة التحديات المتمثلة بالهجمة الشرسة التي تقودها الإمبريالية الأمريكية والصهيونية ضد شعبنا وأمتنا العربية بهدف تركيعنا واستسلامنا.

ويتجسد ذلك من خلال الحصار المفروض على العراق الشقيق وعلى ليبيا والسودان والعدوان المتواصل على لبنان وجنوبه الجريح والقصف المركز فوق شمال العراق وجنوبه ليحصد المزيد من الأبرياء من أبناء شعبنا والمحاولات الدؤوبة لتصفية القضية الفلسطينية، قضية العرب أجمعين.

كنت أتمنى مشاركتكم في النقاش الذي يتناول كل هذه القضايا الساخنة ولكن ظروفاً خارجة عن إرادتي حالت دون ذلك، مع الأسف الشديد.

أتمنى لمؤتمركم المساهمة في رسم الطريق السليم أمام أمتنا العربية لمواجهة كل هذه الأوضاع الصعبة.

تحياتي لكم وإلى جميع الأخوة، أعضاء المؤتمر ولكم منا كل الإحترام والتقدير.

د. جورج حبش
الأمين العام للجبهة الشعبية
لتحرير فلسطين
دمشق - ١٩٩٩/٣/١٥

ويبرق للدكتور خير الدين حسيب

الأخ الدكتور خير الدين حسيب المحترم
تحية أخوية

أود قبل كل شيء أن أعرب لكم عن أسفي الشديد لعدم تمكني من المشاركة في ندوتكم القيمة رغم أني سبق وأكدت لكم رغبتي الشديدة بالحضور والمشاركة إلا ان ظروفاً خارجة عن إرادتي، حالت دون ذلك.

أرجو أن تبلغ تحياتي وأصدق تمنياتي إلى جميع الأخوة الذين شاركوا وأثروا هذه الندوة التي هي من وجهة نظري تؤسس لمرحلة نوعية جديدة من النضال في مواجهة الخطر الصهيوني الرهيب.

إن قيمة هذه الندوة تكمن في أنها تدعو إلى ضرورة الاستمرار في النضال من أجل تحقيق أهداف الشعب الفلسطيني على أساس الفكر والعلم والبحث والدراسة.

ولكم مني كل المودة والتقدير مع فائق الإحترام.

أخوكم
د. جورج حبش
دمشق ١٩٩٩/٣/١٣

ويعزي بوفاة المناضل علي داوود الطحلة

آل الطحلة في الأردن والوطن
تحية حارة وبعد

تلقينا بمزيد من الحزن والأسى، نبأ وفاة ابنكم ورفيقنا المناضل/ علي داوود الطحلة، والذي كان مناضلاً جاداً وصادقاً في سبيل تحقيق أهداف شعبه في الحرية والإستقلال.

وكلنا يعرف مآثر ابو داوود في بدايات انطلاق العمل الكفاحي لشعبنا وما لعبه من دور ايجابي في صفوف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

فبإسم اللجنة المركزية للجبهة، وبإسم كوادرها وأعضائها وجماهيرها في الوطن والشتات وبإسمي شخصياً، نقدم لكم أحر التعازي القلبية ونخص بهذا العزاء زوجته الفاضلة وأولاده جميعاً.

لا أراكم الله مكروهاً بعزيز.

د. جورج حبش
دمشق - ١٩٩٩/٣/١٥

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تدين العدوان الأمريكي - الأطلسي على يوغسلافيا

أدلى الناطق الرسمي باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بتصريح أدان فيه العدوان العسكري الأمريكي الأطلسي على يوغسلافيا، هذا العدوان الذي يشكل انتهاكاً صارخاً للقانون الدولي وتدخلاً سافراً في الشؤون اليوغسلافية الداخلية، بما يهدد وحدة وسلامة أراضي هذا البلد، ويشكل تصعيداً لسياسة الهيمنة والقوة التي تحاول الإمبريالية الأمريكية فرضها على شعوب العالم.

إن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وفي الوقت الذي تدين فيه هذا العدوان وتطالب بوقفه، فإنها تؤكد على ضرورة التوصل الى حل سلمي ديمقراطي لمشكلة إقليم كوسوفو، بما يضمن حقوق الأقليات وأمنها من جهة، ووحدة الأراضي اليوغسلافية من جهة أخرى.

المكتب الصحفي
١٩٩٩/٤/١

سفير يوغسلافيا في سوريا يعقد مؤتمراً صحفياً

بدعوة من سفير جمهورية يوغسلافيا الاتحادية في الجمهورية العربية السورية زوران س. بوبو فيتش عقد مؤتمر صحفي في السفارة اليوغسلافية بدمشق في يوم ٢٥/ ١٩٩٩/٣م، حضره مندوبي الصحافة ووكالات الأنباء المحلية والعربية.

ونورد هنا أهم المعطيات في هذا المؤتمر الصحفي، حيث بدأ السفير اليوغسلافي حديثه بالقول: «إن الإعتداء المسلح من قبل قوات حلف شمال الأطلسي ضد جمهورية يوغسلافيا الإتحادية قد بدأ يوم الأربعاء الواقع في ٢٤ آذار ١٩٩٩م.». وأضاف: «لقد شن هذا الهجوم الوحشي غير المسبوق بأعمال استفزازية ضد دولة مستقلة وعضو في منظمة الأمم المتحدة على الرغم من تعبير جمهورية يوغسلافيا الإتحادية عن استعدادها الدائم للحوار والحل السلمي في كسوفو وميتوهيا. إن هذا العدوان يمثل خرقاً لمبادئ ميثاق الأمم المتحدة الأساسية بالإضافة إلى القانون والنظام الدوليين، مع عواقب يصعب التنبؤ بها تؤثر على السلام والأمن في المنطقة وخارجها».

واستطرد قائلاً: «إن جمهورية يوغسلافيا الإتحادية قد طلبت إلى مجلس الأمن الوقف الفوري للعدوان وإدانته، ودعم سيادة جمهورية يوغسلافيا الإتحادية ووحدة اراضيها، بالإضافة إلى دعم حقها المشروع بالدفاع عن نفسها ضد العدوان، وأن عواقب هذا العدوان ستكون كارثة إنسانية، وتهديد للأمن والسلام الدوليين».

وأضاف موضحاً: «في هذه اللحظة نعلم أنه قد تم ضرب العديد من المواقع المدنية والعسكرية وهناك العديد من الضحايا من القتلى والجرحى، وقد جرى تخريب كبير للبنى الإقتصادية والمعامل والطرق والمطارات وغيرها».

وختم حديثه بمناشدة كل الدول الصديقة لمساندة يوغسلافيا والتضامن معها، وبذل أقصى الجهود في الأمم المتحدة والمحافل الدولية من أجل وقف فوري للعدوان.

وفي ختام المؤتمر الصحفي طرحت مجموعة من الأسئلة من قبل مندوبي الصحافة ووكالات الأنباء أجاب عليها السفير اليوغسلافي موضحاً موقف بلاده من العدوان الأطلسي باعتباره خرقاً فاضحاً للقانون الدولي.

اللجنة الوطنية العليا للمتابعة

تقيم مهرجاناً جماهيرياً في مخيم اليرموك بمناسبة ذكرى يوم الأرض

أقامت اللجنة الوطنية العليا للمتابعة المنبثقة عن المؤتمر الوطني الفلسطيني مهرجاناً جماهيرياً حاشداً في النادي العربي بمخيم اليرموك قرب دمشق مساء يوم الجمعة الموافق ١٩٩٩/٤/٢م، بمناسبة الذكرى الثالثة والعشرين ليوم الأرض المجيد، حضره قادة فصائل الثورة الفلسطينية وممثلين عن حركات التحرر العربية وبعض من أعضاء السلك الدبلوماسي وحشد غفير من كوادر المقاومة الفلسطينية والمواطنين. هذا وألقيت في المهرجان عدة كلمات بدأها الرفيق/ سعيد سيف الأمين العام للجبهة الشعبية في البحرين حيث ألقى كلمة حركات التحرر العربية ومما جاء في كلمته: في الـ (٣٠) من آذار عام ١٩٧٦ هبّ عرب فلسطين من سكان عام ١٩٤٨م، دفاعاً عن أرضهم التي صادرها العدو الصهيوني بالقوة وفي تلك المواجهة سقط منهم العديد من الشهداء والجرحى، وقد سُمي ذلك اليوم بيوم الأرض، حيث أصبح ذلك اليوم يوماً خالداً في كفاح الشعب الفلسطيني ضد العدو الصهيوني العنصري.

وختم حديثه بالعدوان الأخير على يوغسلافيا حيث قال: إن العدوان الأطلسي على يوغسلافيا كما العدوان على العراق وشعب العراق حيث تسعى أمريكا إلى فرض هيمنتها على العالم بالقوة وفرض مناطق حظر وخطوط عرض كما فعلت في حربها على العراق بهدف خلق الصراعات وتفتيت وتجزئة وإضعاف الدول المستقلة تحت حجج وذرائع مختلفة.

تلاه الأخ/ حسن حدرج عضو المكتب السياسي لحزب الله الذي ألقى كلمة المقاومة الوطنية اللبنانية ومما جاء في كلمته: إن المسار الذي سلكه عرفات منذ اتفاق أوسلو وضع القضية الفلسطينية أمام مخاطر لاتحمد عقباها، فالعدو الصهيوني يواصل مخططه الإستيطاني في تهويد القدس وتعزيز الإستيطان وسلب الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني، فإعادة الحقوق لايتم سوى بالمقاومة والإستشهاد وليس بالتنازلات وعقد الصفقات المنفردة والتفريط بالحقوق الوطنية.

ثم حيا المؤتمر الوطني الفلسطيني الذي انعقد في دمشق وتشكيل لجنة المتابعة الوطنية العليا والتمسك بالميثاق الوطني الفلسطيني وبنهج المقاومة ضد الإحتلال الصهيوني. ثم تحدث عن المقاومة الوطنية اللبنانية فقال: إن شعب لبنان المقاوم من كمين بركة جبور إلى أنصاريا وتحرير أرنون تسجل المقاومة الوطنية اللبنانية كل يوم العديد من الإنتصارات على العدو الصهيوني في جنوب لبنان.

وفي ختام كلمته وجه التحية إلى الشعب الفلسطيني المناضل وسورية الصامدة والرئيس حافظ الأسد ثم ألقيت بعد ذلك كلمة حزب البعث العربي الإشتراكي ألقاها الدكتور/ علاء الدين عابدين عضو اللجنة المركزية للحزب أمين فرع دمشق حيث قال:

في يوم الأرض، يوم فلسطين، وعلى بطاح تلك الأرض الطيبة تنتصب إرادة الشعب تذود عن الحمى للدفاع عن الوطن والإنغراس عميقاً في أرضه ليبقى الشاهد العربي قائماً، ولتبقى إرادة الإنسان وهويته أكبر من أي تزييف.



إن سورية العربية تؤمن إيماناً راسخاً بحق الشعب العربي الفلسطيني المشروع في تحرير أرضه واستعادة حقوقه، وقد حذرت مراراً وتكراراً من مخاطر الصفقات المنفردة والحلول الجزئية، وأكدت أن طريق الإنفراد والمباحثات السرية لن يؤدي إلا إلى التنازلات عن الأرض والحقوق، ومنذ اتفاق أوسلو إلى اتفاق القاهرة إلى اتفاق الخليل وأخيراً اتفاق الواي وهي تحذر وتنذر من تلك المخاطر، وها هي الأحداث تثبت مصداقية ذلك التصور واضاف قائلاً: إننا مدعوون اليوم وأكثر من أي وقت مضى إلى وقفة نقدية ومراجعة للذات والموقف، مدعون إلى مزيد من حشد الطاقات وتعبئة الصفوف لمواجهة هذا الإستخفاف والعنجهية التي تمارسها الحكومة الإسرائيلية المتطرفة التي تستهدف الأرض والحقوق والوجود القومي وتمارس الهيمنة والتسلط والسيطرة على المنطقة العربية في تحدٍ سافر يخرق كل الأعراف والمواثيق الدولية ويتنافى مع مبادئ الشرعية وقرارات الأمم المتحدة.

لقد دعت سورية العربية إلى السلام العادل والشامل المستند إلى قيم الحق ومبادئ العدل وقرارات مجلس الأمن الدولي، ومبدأ الأرض مقابل السلام على أساس المرجعية الدولية ومؤتمر مدريد، وحرصت من خلال مجريات العملية السلمية على إقرار الإنسحاب الاسرائيلي الشامل من الجولان وجنوب لبنان والأراضي الفلسطينية المحتلة.

وختم حديثه بتوجيه التحية إلى الشعب العربي الفلسطيني وعاهده بالإستمرار في النضال حتى استعادة الحقوق المغتصبة.

وفي ختام المهرجان ألقيت كلمة لجنة المتابعة الوطنية العليا ألقاها الأخ/ أبوخالد العملة أمين السر المساعد لحركة «فتح» حيث قال:

باسم لجنة المتابعة الوطنية العليا ورئيسها الأخ خالد الفاهوم أحييكم بهذه المناسبة الخالدة دفاعاً عن المقدسات ودفاعاً عن وطننا وأمتنا، فشعبنا جدد العهد عهد النضال ففي الـ (٣٠) من آذار عام ١٩٧٦م في سخنين وعرابة وكل أرض عام ٤٨م في الجليل والمثلث والنقب وقف شعبنا ليقول هذه أرضنا، فيوم الأرض هو يوم مستمر في نضالنا، إنه التاريخ، إنه الشهداء، إنه المقدسات، إنه الحضارة والقيم. وشعبنا واجه على مدى التاريخ كل الغزوات الخارجية وفي النهاية اندحروا عن أرضنا. وأضاف: نحن في لجنة المتابعة الوطنية العليا للمؤتمر الوطني الفلسطيني توافقنا على مجموعة نقاط أساسية هي كالآتي:

١- رفض كل الإتفاقات من أوسلو إلى واي ريفر.

٢- رفضنا التخلي عن الميثاق الوطني الفلسطيني وأكدنا التمسك به.

٣- اعتبار أن من يقدم على التخلي عن الميثاق فاقد للشرعية.

٤- التمسك بالمقاومة والنضال لتحرير أرضنا.

وختم حديثه بالقول: ليس عربياً ولا مسلماً كل من يفرط بحبة تراب من فلسطين ففلسطين ليست عقاراً للبيع وهي ليست للمساومة، فالفجر آتٍ والإحتلال سيزول ■■

الجبهة الشعبية تدعو لتجديد النضال من أجل الدفاع عن الأرض والهوية الوطنية

أصدرت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في الوطن المحتل بياناً سياسياً بذكرى يوم الأرض وفيما يلي أبرز ما جاء فيه:

يا جماهير شعبنا العظيم:

شكلت الأرض محور الصراع الرئيسي بين جماهير شعبنا والعدو الصهيوني منذ بداية الغزو الإستيطاني الصهيوني لفلسطين، كما شكلت الأرض محطات لنضال شعبنا من أجل هويته الوطنية المستقلة والإستقلال والسيادة، وفي يوم الأرض المجيد تبلورت الهوية الموحدة لعموم شعبنا في كافة أراضي فلسطين والمنافي، فهبة شعبنا في سخنين والمثلث والجليل والنقب والضفة والقطاع كان إعلاناً لوحدة الشعب دفاعاً عن الأرض الفلسطينية التي يداهمها خطر الإستيطان الصهيوني ودفاعاً عن الهوية الوطنية.

فالأرض الفلسطينية وفق إقرار فريق أوسلو أراضي الضفة والقطاع، وهذه الأراضي وفق إتفاق أوسلو غير محددة ومصيرها تحدده مفاوضات ماسمي بالحل النهائي، هذا الإقرار توّجه كرنفال شطب بنود الميثاق في غزة على شرف نتنياهو وكلينتون.

واليوم حيث يقترب موعد اتفاق أوسلو الزمني على الإنتهاء نستخلص أن هذا الإتفاق لم يشكل مدخلاً لوضع القضية الوطنية على طريق الإستقلال الوطني وتحرير الأراضي المحتلة، بل شكل مظلة لإستمرار حملات الإستيطان المسعورة للأرض الفلسطينية وحمل في بعض بنوده تشريعاً لهذه الحملات بالإقرار بالطرق الإلتفافية لتنفيذ إعادات الإنتشار، والإستخلاص الأهم أن معركة الدفاع عن الأرض وتحريرها تبدأ الآن بالتحرر من اتفاقات أوسلو وصياغة برنامج نضالي شامل يعيد الوحدة لشعبنا من اجل تحرير الأرض وطرد الإحتلال وانتزاع السيادة عليها كأساس لبناء دولتنا الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس، وعليه وانطلاقاً من حرصنا على مستقبل قضيتنا الوطنية نؤكد في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وندعو إلى:

أولاً: ندعو جماهير شعبنا إلى اعتبار يوم الأرض محطة لتجديد النضال ضد الإحتلال ومستوطنية دفاعاً عن الأرض من أجل الإستقلال والسيادة والعودة.

ثانياً: ندعو السلطة الفلسطينية إلى إعلان وقف مفاوضاتها مع العدو الصهيوني وعدم تمديد المرحلة الإنتقالية والإفراج عن كافة المعتقلين ونقل ملف القضية إلى الأمم المتحدة والمطالبة بالحماية الدولية وتوحيد المعايير في التعاطي مع القضايا الدولية وإلزام إسرائيل بتطبيق قرارات الشرعية الدولية التي تعطي شعبنا حق العودة والإستقلال الوطني.

ثالثاً: ندعو جماهير شعبنا إلى اعتبار يوم ١٩٩٩/٥/٤ موعد انتهاء اتفاقات أوسلو محطة لإعلان شعبنا تحرره من قيود الإتفاق والتزاماته وتجديد النضال ضد الإحتلال.

رابعاً: ندعو جماهير شعبنا وفصائله الوطنية والإسلامية للنضال من أجل إعادة بناء مؤسساته الوطنية وفي مقدمتها مؤسسات م.ت.ف.

يا جماهير شعبنا الباسل:

الأرض في خطر، والقدس في خطر فلنجدد العهد على النضال ونعيد الإعتبار للأرض والشهداء والأسرى.

وإننا حتماً لمنتصرون

الجبهة الشعبية
لتحرير فلسطين
الوطن المحتل
١٩٩٩/٣/٣٠

بيان سياسي بمناسبة يوم الأرض

أصدرت اللجنة الوطنية العليا للمتابعة المنبثقة عن المؤتمر الوطني الفلسطيني بياناً سياسياً بمناسبة يوم الأرض وفيما يلي أبرز ما جاء فيه:

يا ابناء شعبنا الفلسطيني
يا ابناء أمتنا العربية

تأتي مناسبة يوم الأرض هذا العام في ظل تطورات بالغة الخطورة تمر بها قضية شعبنا، نتيجة استمرار المشروع الأمريكي - الصهيوني في المنطقة والذي يستهدف تصفية قضية فلسطين والحقوق الوطنية والتاريخية لشعبنا على قاعدة التسوية الأمريكية المطروحة واتفاقات اوسلو وواي ريفر التي شكلت الغطاء لتصفية هذه الحقوق حيث تتصاعد إجراءات العدو وعمليات الإستيطان والتهويد ومصادرة الأراضي في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ وفي الضفة وقطاع غزة. وفي مواجهة ذلك يقف شعبنا وقواه وفعالياته الوطنية شامخاً في الدفاع عن الأرض.

إن المحاولات الصهيونية التي جرت عبر الخمسين عاماً الماضية من الصراع العربي الصهيوني، لم تثنِ جماهير شعبنا عن مسيرة النضال الطويلة المعبرة عن تمسك شعبنا في أرضه ووطنه وأن التضحيات التي قدمها شعبنا تؤكد رفض شعبنا لهذا الكيان الصهيوني المصطنع، كما تؤكد رفض شعبنا لكل أشكال المساومة والتفريط بحقوقه الوطنية الثابتة غير القابلة للتصرف.

إننا ونحن نحتفل بذكرى يوم الأرض المجيد. نقف إجلالاً وإكباراً لشهداء شعبنا وامتنا الذين سطروا بدمائهم ملحمة البطولة والكرامة والتمسك بالأرض المقدسة. كما أن يوم الأرض وانتفاضة شعبنا في الأراضي المحتلة عام ٤٨، تؤكد وحدة الأرض الفلسطينية ووحدة القضية والشعب والمصير المشترك.

وأن الإحتفال بيوم الأرض يمثل الوفاء الصادق للمسيرة النضالية الطويلة، مسيرة الشهداء، مسيرة الكفاح الوطني لشعبنا التي لم تتوقف عبر السنين الماضية. حيث أثبت شعبنا أصالته والتزامه بحقوقه رغم سياسة التهويد والإستيطان ومصادرة الأراضي. كما أثبت عمق ارتباطه بقضيته وقوميته العربية.

وفي ظل التطورات الجارية والمخاطر التي تحملها اتفاقات الذل والإذعان في أوسلو وواي ريفر وما تفرع عنها من ملحقات وإفرازات، فإن اللجنة الوطنية العليا للمتابعة المنبثقة عن المؤتمر الوطني الفلسطيني، الذي أعلن رفضه القاطع لإلغاء الميثاق الوطني الفلسطيني، ورفضه لإتفاقات أوسلو وواي ريفر، وتمسكه بالحقوق الوطنية والتاريخية لشعبنا وحرصه على ترابط النضال الوطني والقومي. فلقد أعلن المؤتمر رفضه لكل هذه الإتفاقات والسياسات التي تمس جوهر الحقوق الفلسطينية والعربية وأعلن تمسكه بالخيار الوطني وبمسيرة النضال والكفاح على طريق تحقيق اهداف شعبنا واستمرار مسيرة التحرير والعودة وتقرير المصير.

إن اللجنة الوطنية العليا للمتابعة وهي تشارك جماهير شعبنا في انتفاضة يوم الأرض تؤكد على مايلي:

١- التمسك الكامل بفلسطين وطن الشعب العربي الفلسطيني وتؤكد على وحدة الأرض والشعب والهوية.

٢- العمل على مقاومة الإحتلال الصهيوني بكل أشكال النضال وفي مقدمتها الكفاح المسلح، ومقاومة سياسة العدو الإستيطانية ومواجهة سياسة التهويد ومصادرة الأراضي وكل المحاولات الجارية لإقتلاع شعبنا من وطنه.

٣- استمرار النضال للتصدي لنتائج اتفاقات أوسلو وواي ريفر وما نتج عنها من ملحقات وإفرازات. واعتبار هذه الإتفاقات باطلة ولاتعبر عن إرادة الشعب الفلسطيني.

٤- التأكيد على استمرار النضال لإستعادة القضية الوطنية من أيدي فريق أوسلو. والعمل لبلورة استراتيجية واضحة وصيغة للعمل الوطني الفلسطيني.

٥- التأكيد على حق شعبنا في العودة إلى وطنه فلسطين ورفض سياسة التوطين والتهجير. والتبديد بالحقوق الفلسطينية.

٦- التأكيد على عمق ارتباط شعبنا العربي الفلسطيني بأمته العربية والإسلامية. وترابط المصير القومي المشترك مع كل أبناء أمتنا.

إن اللجنة الوطنية العليا للمتابعة تحيي جماهير شعبنا في كل أماكن تواجده في هذا اليوم المجيد، وتحيي الأسرى والمعتقلين في سجون الإحتلال الصهيوني وسجون السلطة الفلسطينية، وتحيي كل أبناء أمتنا العربية وقواها الحية، وتوجه التحية لسورية العربية بقيادة الرئيس المناضل حافظ الأسد. كما تحيي ابطال المقاومة الوطنية والإسلامية في جنوب لبنان، وتعاهد جماهير شعبنا وأمتنا على الإستمرار في النضال حتى تحقيق كامل أهداف شعبنا وامتنا.

اللجنة الوطنية العليا للمتابعة
دمشق في ١٩٩٩/٣/٣٠م

ندوة سياسية بمناسبة يوم الشهيد



بمناسبة الذكرى السنوية ليوم الشهيد، وفي ذكرى استشهاد الرفيق جيفارا غزة عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وبتاريخ ١٩٩٩/٣/٩ وفي قاعة الشهيد غسان كنفاني أحيت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - فرع سورية - هذه المناسبة الوطنية المجيدة بفعالية سياسية جماهيرية. (ندوة جماهيرية) أدارها الرفيق إيهاب يونس مسؤول فرع سورية وتحدث فيها الرفاق فضل شرورو عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية - القيادة العامة - والرفيق أبو أحمد فؤاد عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مسؤول العلاقات السياسية.

تحدث الرفيق فضل عن معاني وقيم الشهادة والشهداء، وقال ان الشهادة فعلٌ يفوق وصف الفعل، وان الشهادة وصف فعل للثوريين.

ثم تحدث الرفيق عن الكونفدرالية وما هي الأهداف وراء طرحها في هذه المرحلة وردود الفعل حيالها، وقال إن طرح هذا العنوان من قبل عرفات وبشكل مفاجئ إنما يشير إلى المأزق الذي تمر به اتفاقيات أوسلو، وهو خطوة للهروب إلى الأمام. فالإستيطان لازال ينهش الأرض الفلسطينية بكل شراسة، وكذلك تردي الحالة الأمنية والحالة الإجتماعية. إن الدعوة للكونفدرالية هي بمثابة إشارة خطر وهي إشارة استغاثة.

بعد ذلك تحدث الرفيق أبو أحمد فؤاد حول إعلان الدولة في ٤ أيار وعن دور المعارضة الفلسطينية ومما جاء في حديثه مايلي:

في الرابع من أيار يُفترض أن تنتهي المرحلة الإنتقالية لإتفاقيات أوسلو والسؤال المطروح بعد ذلك ما العمل. حيث أن السلطة ومنذ فترة تتحدث عن قدسية التاريخ المحدد، ولقد قالت السلطة أن هذا العنوان خاضع للمساومة ويمكن تأجيله مقابل ثمن ما، وهناك العديد من الدول التي أعطت وعوداً غير موثقة للسلطة، وإن كل التقديرات تقول إن السلطة مقبلة على اتخاذ قرار بالتأجيل، وقال إذا كانت السلطة جادة في الإعلان فهناك خياران- الخيار الأول هو الإعلان عن الدولة وهنا يكون بموافقة إسرائيل وأمريكا. والخيار الثاني هو الإعلان عن الدولة رغماً عن إسرائيل وأمريكا.

والخيار الأول سيكون ذلك مقابل التخلي عن القدس وبقاء الحدود والمعابر في يد إسرائيل والاستمرار في الإستيطان وهنا تكون الدولة فقط قطاع غزة. وهذا يقود إلى دولة ناقصة السيادة. أي حكم ذاتي في لبوس دولة فلسطينية.

أما الخيار الثاني والذي يقول بإعلان الدولة رغماً عن إسرائيل وأمريكا، فإن هذا غير ممكن لأن هذه القيادة لايمكن أن تقيم دولة إلا بموافقة إسرائيل وأمريكا وأوروبا. وقال الرفيق أبو أحمد ان الدولة بالنسبة لجماهيرنا هو عنوان ناضلنا من أجله ونحن مع أي جزء يتم تحريره لنقيم عليه دولة مستقلة نواصل من خلالها النضال باتجاه تحرير كل فلسطين. أي ربط الهدف المرحلي بالهدف الإستراتيجي.

وأضاف الرفيق أبو أحمد /ان اعلان الدولة غير مرتبط بالإنتخابات الإسرائيلية وذلك لأن القوى الصهيونية وأحزابها السياسية لها موقف موحد من الدولة. أي دولة وفق الشروط الإسرائيلية وتحت عنوان المعارضة قال الرفيق أبو أحمد فؤاد إنني متفائل بدور المعارضة لما ستحققه لاحقاً إذا ما تحققت ظروف أفضل للمعارضة.

وبعد ذلك دار نقاش حيوي بين الأخوة الحضور والقائمين على الندوة مما ساهم في إغناء الندوة.

بيان سياسي بذكرى يوم الأرض:لاسلام لا مفاوضات مع الإستيطان

أصدرت لجنة المتابعة المنبثقة عن المؤتمر الوطني الفلسطيني في دولة فلسطين بياناً سياسياً بذكرى يوم الأرض، وفيمايلي أبرز ما جاء فيه:

في الثلاثين من هذا الشهر، تهل على شعبنا الفلسطيني الصامد الذكرى الثالثة والعشرون ليوم الأرض، ففي هذا اليوم الخالد جدد أبناء شعبنا في الجليل والنقب والمثلث، تمسكهم بوطننا فلسطين، وسقوا بدمهم الطاهر ترابها وأكدوا للعدو والصديق، بأن القمع والقوة لن تثنيهم عن حماية أرضهم وعن تطلعاتهم للحرية.

وتأتي هذه المناسبة العظيمة في ظل استشراء سياسة الإحتلال بمصادرة الأراضي وتهويد المقدسات والإصرار على ضم القدس والتنكر لحقوق شعبنا بالحرية والإستقلال، وتحول الإتفاقات والعملية السياسية الجارية، الى غطاء لهذه الممارسات وتزايد المؤامرات لتسوية قضيتنا الوطنية على حساب حقوقنا الوطنية وحريتنا واستقلالنا، فاتفاقات اوسلو والعملية السياسية الجارية وصلت لمأزقها المحتوم، وتجري محاولات جادة لتمديدها بذات الشروط الظالمة والمذلة. الأمر الذي يتطلب من الجميع موقفاً حاسماً وواضحاً، برفض تمديدها، والتوجه لإشتقاق سياسة وطنية جديدة، للتحرر من إملاءاتها، وبما يصون وحدة شعبنا ووحدة حقوقه وأهدافه، وفي مقدمتها حقه بالعودة وتقرير المصير وإقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس.

في يوم الأرض، يوم الكرامة الوطنية، نناشد أبناء شعبنا في أماكن وجوده كافة للإضراب عن العمل ولتوحيد جهوده، لتحويل هذه المناسبة المباركة، إلى يوم عمل ونشاط متعدد الأشكال، دفاعاً عن الأرض في مجابهة سلطات الإحتلال وقطعان المستوطنين وندعو لإحياء هذه المناسبة، من خلال المنابر ومقاعد الدراسة. وندعو لجان متابعة المؤتمر الوطني الفلسطيني في المحافظات كافة، للمبادرة والإتصال بفعاليات شعبنا وقواه لتنسيق هذا الجهد الشعبي المشترك. ونطالب السلطة الفلسطينية بوقف كافة أشكال التفاوض والتنسيق مع سلطات الإحتلال، فلا سلام مع الإستيطان.

في يوم الأرض، يوم الكرامة، يوم فلسطين، نجدد العهد على استمرار النضال من أجل دحر الإحتلال وتأمين الحرية والإستقلال لشعبنا، وصون وحدته وحقوقه الوطنية والديمقراطية، ونجدد الوعد للمعتقلين في سجون الإحتلال بالعمل من أجل تحريرهم، ونطالب قيادة السلطة الفلسطينية بالإفراج الفوري عن المعتقلين السياسيين في سجونها.

المجد لشهداء الأرض والحرية

«معاً وسوياً على طريق تحرير أرضنا ونيل استقلالنا الوطني»

لجنة المتابعة
المؤتمر الوطني الفلسطيني
دولة فلسطين
١٩٩٩/٣/٣٠

حفل تكريمي بمناسبة عيد المعلم العربي

أقامت الجبهة الشعبية حفلاً تكريمياً للمعلمين في حلب حضره ما يقارب المائة معلم وحضر الإحتفال مدير منطقة الوكالة الأستاذ خالد زيد ومساعده الأستاذ علي عيد وحضر أيضاً أحد مؤسسي أول مدرسة في مخيمات سوريا الأستاذ عبد القادر حافظ وعدد من مدراء المدارس والأساتذة المتقاعدين إلى جانب العديد من المعلمين..

وألقيت في الحفل عدد من الكلمات، حيث ألقى الأستاذ عبد القادر حافظ كلمة حول ظروف تاسيس أول مدرسة وهي إعدادية عكا بحلب والتجربة التعليمية في المخيم منذ ١٩٤٩.. (التعليم المجاني - التعليم الليلي - تعليم الكبار..)

ثم ألقيت كلمة الجبهة الشعبية ألقاها الرفيق عمر عيد متحدثاً عن العلم والتعليم ومهمة المعلم الوطنية ودوره في حماية الذاكرة الوطنية، ونبه إلى المخاطر الناجمة عن تقليص خدمات الأونروا ثم تحدث عن الموضوع السياسي والمخاطر التي تتهدد القضية الوطنية من جراء الإتفاقات التصفوية أوسلو وواي بلانتيشن مؤكداً على أهمية المؤتمرات الوطنية التي عقدت في الداخل والخارج وأهمية توحيد الجهود الوطنية للحفاظ على الميثاق الوطني والثوابت الوطنية داعياً إلى رفع وتيرة الكفاح ضد الإحتلال ومشاريع الإستيطان وتهويد القدس.

ثم تحدث الأستاذ محمود وهب من الحزب الشيوعي السوري عن هذه المناسبة من خلال قصة قصيرة بعنوان اليوم الأول للمعلم في المدرسة يتحدث عن نبل الرسالة ومعاناة المعلم على صعيد الدخل ومتطلبات الحياة المعيشية.

وفي النهاية قدم الرفيق محمد حافظ هدايا التكريم لعدد من المعلمين.

الأحزاب العربية في إسرائيل

تشرذم إضافي يعني تمثيل أقل

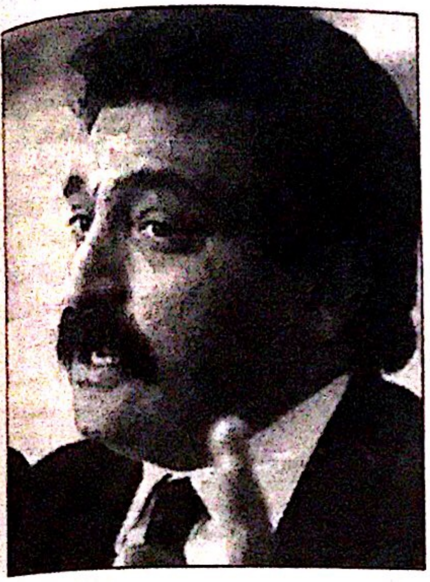
سمير الزبن

أسفرت المساومات بين الأحزاب العربية في «إسرائيل»، تحضيراً للإنتخابات الإسرائيلية المقرر إجراءها في ١٧ أيار/ مايو المقبل، عن أربع قوائم انتخابية تشارك من خلالها هذه الأحزاب في الإنتخابات القادمة، إضافة إلى مرشح عربي لرئاسة الوزارة. وهذا ما يعتبر تراجعاً عن الخطوة الهامة التي تم انجازها في انتخابات العام ١٩٩٦، حيث شاركت الأحزاب العربية في تلك الإنتخابات بقائمتين فقط مما زاد نسبة التمثيل العربي في الكنيست الماضية، ومنع لحد كبير تسرب الأصوات العربية إلى الأحزاب اليهودية.

كان من المفترض أن يتم تقليص هذا التعدد في القوائم العربية لصالح تمثيل أكبر للعرب في انتخابات الكنيست القادمة، لكن انقسام الأحزاب العربية على أربع قوائم انتخابية، جعل إمكانية تسرب الأصوات وضياعها أكبر بكثير مما لو كانت الأحزاب حافظت على تحالفاتها السابقة من خلال قائمتين، إذا تعذر تقليصها إلى قائمة واحدة. أما أن يعود التشرذم إلى الأحزاب العربية فهذا سيؤثر حقاً على تمثيلها في الكنيست القادم، وهو عامل سلبي لتمثيل القوة العربية في الكنيست الإسرائيلي.

تعود الدعوة في الوسط العربي في إسرائيل إلى تشكيل قائمة عربية موحدة لخوض انتخابات الكنيست إلى زمن بعيد، وفي كل مرة يتم الفشل في الوصول إلى هذه القائمة، ويلقي كل حزب بمسؤولية منع الوصول إلى هذه القائمة على عاتق الأحزاب الأخرى. مما يجعل المرء يستنتج أن دعوات القائمة الموحدة ما هي إلا دعوات للتغطية على هذا التحالف أو ذاك تحت عناوين الوصول إلى قائمة موحدة، وتلعب الإعتبارات الفئوية دوراً حاسماً في تشكيل هذه التحالفات. تعتمد أساساً على إعطاء هذا الحزب أو ذاك مقاعد مضمونة في القوائم الإنتخابية، أو الخلاف على نسبة التمثيل في هذه القوائم، ويصبح هذا التكتيك الفئوي عاملاً حاسماً في منع تشكيل هذه القائمة، ومن ثم تتم التغطية عليه بخلافات أيديولوجية وسياسية. رغم أن المطلوب للوصول إلى قائمة موحدة للأحزاب العربية هو تجاوز الفئوية، لأن هذا التجاوز وحده الكفيل بزيادة وزن التمثيل العربي. في الكنيست وبالتالي زيادة تأثير العرب في صنع السياسة الإسرائيلية، بما يخدم مصالح العرب في إسرائيل.

ولاشك بان تجربة الكتلة المانعة التي كانت قائمة في زمن حكومة رابين كان من المفترض أن تشكل الدافع إلى تعزيز وحدة العرب في إسرائيل، لا أن تعمل على تفتيت هذا التمثيل، ففي تلك المرة النادرة، شكل نواب الأحزاب العربية في الكنيست الإسرائيلي العامل الحاسم في اتخاذ الحكومة الإسرائيلية لقرارها بشأن قضية حاسمة. ففي العام ١٩٩٤ اتخذت الحكومة الإسرائيلية بزعامة اسحاق رابين قرارها بمصادرة ٥٥ دونماً في مدينة القدس الشرقية. ولم تردع لا الإجتماعات العربية بشأن الموضوع، ولا اللجوء إلى مجلس الأمن لمعالجة هذه القضية، حكومة رابين عن الإستمرار بعملية المصادرة، ضاربة عرض الحائط بمجلس الأمن وبالإجتماعات العربية. وكان ذلك في الأيام التي اعتبرت فيها عملية السلام تتقدم بخطوات إلى الأمام، وتم اعتبار رابين رجلاً للسلام. وحدهم النواب الخمسة العرب في الكنيست الإسرائيلي أجبروا حكومة رابين على التراجع عن قرارها، مما اضطر حكومة رابين تجميد قرارها بالمصادرة إلى أجل غير مسمى. فأعضاء الكنيست العرب الذين شكلوا في حينه ما سمي بالكتلة المانعة، التي كانت حكومة رابين تحتاج إلى تصويتها إلى جانبها حتى لاتسقط لأنها لم تكن تملك الأغلبية في الكنيست الإسرائيلي، وما كانت حكومة رابين تستطيع الإستمرار دون أصواتهم. أوقفوا المصادرة، من خلال التهديد بالتصويت بسحب الثقة من حكومة رابين إذا استمرت في قرارها بمصادرة تلك الأرض. وما كان من حكومة رابين إلا أن تستجيب لهذا التهديد، الذي سيجعله خارج السلطة.



في ذلك الوقت ظهر واضحاً ضرورة أن يمتلك العرب في الكنيست الإسرائيلي كتلة نيابية كبيرة ومتماسكة، بحيث تكون مؤثرة ويؤخذ لها الحساب من قبل الأحزاب اليهودية. خاصة في ظل الإستقطاب العرقي (الاثني) في إسرائيل، الذي أخذ يعبر عن نفسه بمجموعة من الأحزاب تعبير عن مصالح مجموعات أثنية، مثل أحزاب الشرقيين وحزب المهاجرين الروس.. الخ. مما زاد من عدد الأحزاب الإسرائيلية التي تعبر عن مصالح وطوائف وقطاعات معينة.

لم تكن تلك اللحظة هي التي اكتشف فيها العرب في إسرائيل ضرورة تشكيل قائمة عربية موحدة لخوض انتخابات الكنيست، فقد كانت هذه القائمة مطلوبة منذ زمن بعيد، لكن الأحزاب العربية لم تستطع ولا مرة واحدة التوصل إلى قائمة موحدة لخوض الإنتخابات الإسرائيلية، ولكن في تلك المرة التي أجبروا فيها اسحاق رابين على وقف المصادرة شعروا بالقوة التي يمكن أن يشكلوها في ظرف سياسي معين، تكون مؤثرة بشكل حاسم على الخارطة السياسية في إسرائيل.

فالإجماع بين الأحزاب العربية في إسرائيل على ضرورة التوصل إلى قائمة موحدة لخوض الإنتخابات تبخرت في هذه الإنتخابات كما في

الإنتخابات السابقة. وبحكم الخلافات الأيديولوجية دعا عزمي بشارة إلى الإتفاق على وحدة انتخابية فقط لتوحيد الصف العربي، تنفرط في اليوم الأول لظهور نتائج الإنتخابات، هدفها تجنيب الشارع العربي النزاعات غير المطلوبة مع المحافظة في الوقت ذاته على الإستقلالية الخاصة بهذا الحزب. ويقول بشارة رئيس التجمع الوطني الديمقراطي «أن وحدة كهذه ستضيف للعرب مقعدين على الأقل، وستمنع تسرب أصوات العرب لقوائم الأحزاب الصهيونية. ولايختلف رأي عضو الكنيست هاشم محاميد عن رأي بشارة بأن تحالف الأحزاب العربية في قائمة موحدة يوحد الجماهير العربية ويزيد من قوتها في الشارع وفي الكنيست. الرأي المخالف جاء من «الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة»، والتي يشكل الحزب الشيوعي بزعامة محمد بركة أساسها. فقد عارضت الجبهة فكرة «القائمة العربية الموحدة» وبرر صالح سليم معارضة الجبهة معتبراً أن هناك ثلاثة أسباب تمنع إقامة هذه الوحدة: إن القائمة الموحدة لاتمنح حرية الإختيار للجماهير العربية التي فيها الفقير والغني واليسار واليمين، وأن هذا التنوع لايمكن أن تستوعبه قائمة موحدة. والسبب الثاني أن من مصلحة الشعب الفلسطيني التغلغل في الشارع الإسرائيلي وكسب الصوت اليهودي. وهو على عكس الآخرين يعتقد أن التنوع في القوائم العربية يعمل «على عدم انتقال أصوات العرب إلى الأحزاب الصهيونية اليمينية». لذلك أجرت الجبهة مشاورات مع «ميرتس» لتشكيل قائمة موحدة لخوض الإنتخابات، ودون أن تسفر هذه المشاورات عن نتائج تحالفية.

وإذا كان قادة الأحزاب العربية في إسرائيل يخشون الوحدة، رغم إيجابياتها لأنها تمس بخصوصية كل حزب، مما يعتبر من وجهة نظرها خطراً. كما أن هذه الوحدة تفرض على كل حزب تخفيض سقفه السياسي والأيديولوجي، لأن بناء «جبهة وطنية» بين الأحزاب العربية يحتاج إلى الإتفاق على حد أدنى سياسي كبرنامج للإجماع الوطني، وبذلك يكون ممكنا الوصول لقائمة انتخابية دون التخلي عن الجانب الأيديولوجي لهذه الأحزاب، لأن اللحظة السياسية كانت تفترض ذلك، مما كان يفترض تغليب المصلحة العامة على المصلحة الفئوية، دون التضحية بهذه الأخيرة.

لكن الأحزاب العربية لم يكن هذا خيارها، فعند إغلاق باب الترشيح للانتخابات الإسرائيلية كانت هناك أربعة قوائم عربية ومرشح لرئاسة الوزراء. وبهذه القوائم الأربعة سيخوض العرب في إسرائيل معركة الإنتخابات القادمة. ولم تخل الساعات الأخيرة التي سبقت إغلاق باب الترشيح من مفاجآت بتغيير التحالفات. فقد ترك أحمد الطيبي المستشار السياسي السابق لياسر عرفات التحالف مع الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة بعد يوم واحد من الإتفاق على تحالف انتخابي معها، وشكل الحزب الذي يقوده «الحركة العربية للتغيير» تحالفاً مع التجمع الوطني الديمقراطي الذي يقوده عزمي بشارة المرشح العربي لرئاسة الوزراء في إسرائيل.

وقد جاء هذا التحالف غريباً، لأن عزمي بشارة رئيس حزب التجمع كان يتهم أحمد الطيبي بأنه أحد دعاة «الأسرلة» التي يحاربها عزمي بشارة. ويبرر بشارة هذه الخطوات التي أسفرت عن تسجيل تحالف باسم «التجمع الوحدوي الوطني»، بانه خطوة براغماتية ذكية، للإلتفاف على الحصار الذي فرضته الأحزاب العربية على التجمع ومحاولة الضغط لإبعاده عن الصورة. وزاد من حدة الخلافات إصرار عزمي بشارة على ترشيح نفسه لإنتخابات رئاسة الوزراء. في الوقت الذي رفضت الأحزاب العربية هذه الخطوة معتبرة أن مثل هذه الخطوة تؤثر على الجهود المبذولة لإسقاط نتنياهو، وتصب في خانة هذا الأخير.

وقد عملت خطوة ترشيح عزمي بشارة نفسه لمنصب رئيس الوزراء في إسرائيل على زيادة الخلاف بين الأحزاب العربية حول الجدوى من هذه الخطوة. وقد برر بشارة خطوته هذه في مؤتمر صحفي بان هذا الترشيح يسعى لـ «الدفاع عن حقوق العرب في إسرائيل والوصول إلى سلام عادل» و«موازنة الضغوط من اليمين الإسرائيلي المتطرف بضغوط من اليسار في الحملة الإنتخابية» و«استثمار الصوت العربي في الجولة الثانية من الإنتخابات» معتبراً ان ذلك ضرورياً من أجل إشعار حزب العمل أن الصوت العربي ليس في جيبه، والمساومة مع مرشح حزب العمل بالإستجابة للمطالب العربية حتى يحصل على الأصوات العربية. وهي فكرة كان بشارة قد طرحها منذ العام ١٩٩٦، وطرحها للنقاش بالبحث عن مرشح لرئاسة الوزراء، قادر إذا حصل على حد من الأصوات يدفع باتجاه جولة ثانية من الإنتخابات أن يساوم على هذه الأصوات للحصول على تنازلات أكبر من مرشحي رئاسة الوزراء، ولكن ما اختلف في هذا الوقت عن ذلك الطرح، أن انتخابات رئاسة الوزراء ستشهد جولة ثانية من الإنتخابات بوجود عدد من المرشحين بصرف النظر عن وجود مرشح عربي أو عدم وجوده، مما جعل الخطوة أقل أهمية مما راهن عليها بشارة عند طرحها لأول مرة. لكن بشارة اعتبر أن الشارع العربي في إسرائيل متحمس لهذه الخطوة على عكس الأحزاب العربية التي اعتبرها تتآمر مع باراك لإبعاده. وقد جمع التجمع الديمقراطي ٥٨ ألف توقيع خلال ثلاثة أيام مما اعتبر مفاجأة. وقد قال بشارة: «قمنابهذه الخطوة لأننا جادون في مسألة ضرورة طرح مرشح إلى اليسار من أيهود باراك. مرشح عربي يطرح القضايا العربية الخاصة بتحقيق السلام العادل والمواقف العربية المتعلقة بحقوق الأقلية العربية داخل إسرائيل».

لكن رؤساء القوائم العربية لهم رؤية أخرى للموضوع، واعتبروا أن هذه الخطوة تصب في مصلحة نتنياهو، وحسب بعض المصادر الفلسطينية، فإن رؤساء هذه القوائم يعتزمون الإعلان قريباً عن دعمهم لأيهود باراك لإنتخابات الرئاسة، رغم إعلان بشارة لترشيحه، وذلك مقابل اتفاق يتعهد بموجبه باراك بدعم قضايا الفلسطينيين في إسرائيل. وقال يوسي بيلين أن حزبه أجرى مؤخراً مفاوضات مع رؤساء الأحزاب العربية لحثهم على إعلان تأييدهم لباراك ضد نتنياهو ومردخاي. وقال ان توجهاً كهذا قائم في الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة التي وعدت بتأييد باراك لكنها لم تعلن موقفها بعد ولدى القائمة العربية الموحدة كذلك. ونقلت صحيفة «يديعوت أحرنوت» الإسرائيلية عن شخصيات سياسية عربية أنه على رغم كون باراك مرشحاً غير مثالي بالنسبة للوسط العربي، لكنه الوحيد القادر على إلحاق الهزيمة بنتنياهو.

في انتخابات الكنيست ١٩٩٦ قوتان سياسيتان عربيتان، ناتجتان عن تحالف قوى سياسية وهما: القائمة العربية الموحدة، التي تضمن الحزب العربي الديمقراطي والحركة الإسلامية القطرية ولها أربع نواب في الكنيست. والثانية الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة إضافة إلى التجمع الوطني الديمقراطي ولها خمسة نواب في الكنيست، مما يعني تسعة نواب للأحزاب العربية في انتخابات العام ١٩٩٦، وهي نسبة لم يبلغها التمثيل العربي في الكنيست من قبل، حيث بلغت ذروة تمثيل الأحزاب العربية سابقاً ستة نواب فقط. ويمكن أن يصبح عدد النواب العرب منسوباً لحجم الأصوات العربية ١٧ نائباً، وعددهم اليوم في الكنيست ١٢ نائباً، ولكنهم موزعون على الأحزاب السياسية العربية واليهودية من ميرتس وعمل وليكود. وكان من الممكن لوحدة انتخابية بين الأحزاب العربية، أن يجعلها القوة الثالثة في الكنيست، ولكنها في ظل التشرذم الذي حصل في هذه الانتخابات منسوباً للإنتخابات السابقة، فإن من المقدر له أن يجعل حجم التمثيل العربي في الكنيست القادم، أقل مما كان عليه في الكنيست الماضية■■

الفكر العربي: الماضي، الحاضر، الآفاق

د. فيصل دراج

لم يكن الحديث قبل عقود ثلاثة، عن الفكر العربي أمراً صعباً، لأنه كان واضحاً وشفافاً ومعروف البداية والنهاية. فمنذ بداية القرن كان هذا الفكر، في أشكاله المختلفة، مؤمناً، الإيمان كله بانتصاره الأكيد. فالفكر الحداثي الليبرالي اعتقد أن العالم العربي آخذ بالضرورة، بوسائل الحضارة الغربية وواصل إلى ما وصلت إليه، والفكر الإسلامي آمن، من دون شك، بعودة الدولة الإسلامية المظفرة، والقومي لم يراوده الشك قط أن مجد العروبة مستعاد، ولو بعد حين، والفكر الإشتراكي حلم بجنةٍ فوق الأرض وشيكة ومضمونة.

تميز هذا الفكر، في ألوانه المتعددة بإيمانية عميقة، لأنه كان يتعامل مع رغباته الذاتية كوقائع حقيقية، من دون أن يتأمل مدى الوهم ومدى الحقيقة. ولذلك كان على هذا الفكر «الفكر الرغبي»، الذي يستبدل بالواقع الرغبة، أن يضطرب ويتداعى، أو أن يضطرب ولايحسن الوقوف بعد هزيمة حزيران عام ١٩٦٧. وبسبب هذه الهزيمة انتقل الفكر العربي المستند إلى الحداثة أو المتمسك بأصالته القديمة، من صيغة «الفكر الرغبي» إلى صيغة مغايرة هي: «الفكر الممزق»، الذي لايعرف من أين يبدأ ولايدرك إلى أين يسير؟ وكان بديهياً، في هذا السياق، أن تنعزل الكتابة عن الواقع، وأن يكتفي الفكر، غالباً بمحاورة الكتب العربية والأجنبية، على مبعدة من الواقع العربي الفعلي، الذي يطرح أسئلة تتجاوز الكتب العربية والأجنبية في آن.

وإذا كان الفكر العربي قد اضطرب، ذاتياً بعد هزيمة ١٩٦٧، فإن التحولات العالمية العميقة، التي أخذت بالتبلور منذ منتصف الثمانينات، زادته قلقاً وضياعاً، كما لوكان الزمن الذي انتسب إليه قد تهاوى وانطوى. ولذلك وجدنا أن المفكر المغربي محمد عابد الجابري يرى الفكر العربي الحديث عقيماً وقريباً من الصفر في كتابه «الخطاب العربي المعاصر»، مثلما سيرى اللبناني علي حرب في كتابه «أوهام النخبة»، وبعد أكثر من عقد من الزمن، أن الفكر العربي الحديث كتلة من الأوهام، لاتفضي إلا إلى الخيبة. مع ذلك، فإن الأمر بعيد عن هذا التبسيط المخلّ، الذي يطرد فكرة عربية قلقة بفكرة مستوردة لاتقل قلقاً. بمعنى آخر: إذا كانت التحولات العربية والعالمية تجعل من النقد الموضوعي مدخلاً أساسياً لتأمل الفكر العربي، فإن التأمل النقدي لايرى في الفكر العربي خواءً وصفراً مطلقاً، لأن نقد الصفر ينتهي إلى صفر آخر لا أكثر. ولهذا، فإن الحوار مع الفكر العربي، مهما كانت أوهامه وهزائمه، درب ضروري لبناء فكر عربي جديد محتمل. ولأن هذا الجديد يقع في دائرة الإحتمال، فإن الحوار معه يأخذ شكل الأسئلة المفتوحة، لاشكل الإجابات القاطعة.

والآن لندخل إلى الموضوع الذي نحن بصدده.

عنوان هذه المحاضرة لايخلو من الإلتباس والمفارقة، فهو ملتبس، أي يكتنفه الغموض، لأنه يدّعي الحديث عن تاريخ الفكر العربي كله، في الماضي والحاضر والمستقبل، وهو أمر مستحيل بالتأكيد، إلا لدى إنسان واهم وضعيف المحاكمة. لكن العنوان ومن ناحية ثانية إيجابي، لأنه يسمح بإطلاق الأسئلة المتعددة أكثر مما يطالب بإجاباتٍ محددة وحصرية، الأمر الذي يجعله حواراً متعدد الوجوه وفي اتجاهات مختلفة.

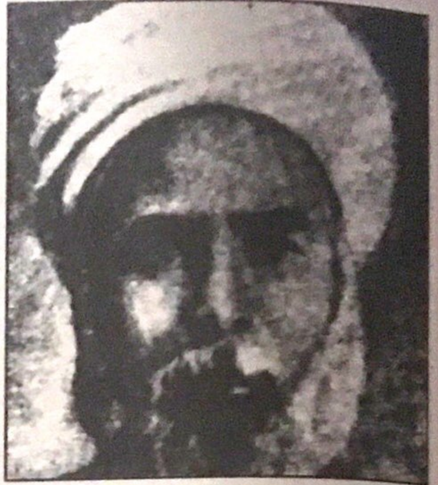
وأول النقاط التي يتعامل معها الموضوع هو: الماضي والماضي كله يختلف تأويلها باختلاف الغاية التي يقصدها التأويل. فإذا كان المقصود بالماضي هو التعرّف على حقبة زمنية قديمة، جاءت وذهبت واستقرت في زمن تلاشى، فإن على الباحث أن يذهب إلى الماضي كي ينقب في الكتب عن المعلومات الدقيقة ، وعن الأسباب التي أعطت ظواهر معينة في زمن معين وأملت تقوّض وانهدام هذه الظواهر في زمن لاحق. وفي تصور كهذا يبدو الماضي زمناً مكتفياً بذاته ومعزولاً عن الزمن الحاضر الذي يدرسه، كما لوكان الهدف تحصيل معرفة أكاديمية باردة، تحتفل بالمعرفة من أجل المعرفة لا أكثر.

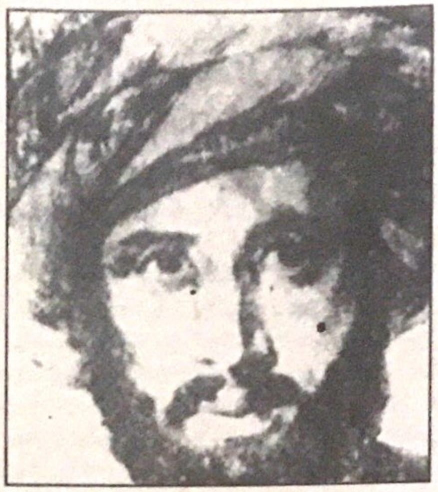
غير أن كلمة «الآفاق» التي تتضمنها المحاضرة، توحي بشيءٍ آخر، يفترض اتصالاً، أو تواصلاً، بين الحاضر والماضي، ويرى أن العودة إلى الماضي لاتطلب لذاتها، بل من أجل حاضر يستعين بمعرفة الماضي كي يعرف وضعه كحاضر، أي كزمن مختلف عن الماضي. وفي حال كهذه، فإن السؤال الذي يطرح مباشرة هو التالي: إن كان الفكر يصل بين الحاضر والماضي فهل المطلوب قراءة الحاضر من وجهة نظر الماضي، أم قلب المعادلة، أي قراءة الماضي من وجهة نظر الحاضر؟ لاشك أن على الفكر، إن أراد أن يكون تاريخياً، أن يأخذ بالجزء الثاني من السؤال، وأن يقوم بالتالي بقراءة الماضي من وجهة نظر الحاضر.

ومع أن الإفتراض يبدو بديهياً، فإنه رغم بداهته يستند إلى أمرين، يقول أولهما: يقرأ الفكر الماضي من وجهة نظر الحاضر بسبب تراكم المعرفة، الذي تم إنجازه في الفترة الفاصلة بين الزمنين. ففي هذه الفترة تطورت، أو ولدت علوم متعددة تتضمن علم التاريخ وعلم اللغة والأنتربولوجيا، وعلم النفس وطرق الإحصاء الرياضي.. أي تشكلت جملة معارف تسمح بقراءة للماضي تفوق وضوحاً وموضوعية معرفة الماضي عن ذاته... ولذلك فإن الوقائع التاريخية تبدو أكثر وضوحاً بعد ابتعادها، لا بسبب الإنفعال والأوهام، بل بسبب تجدّد المعرفة الإنسانية المستمر. وبهذا المعنى، فإن ماضي الفكر العربي لايتضح بالركون إلى الموروث الكتابي العربي فقط، بل يفرض أيضاً توسل المعارف الحديثة والمستجدة. وهذا ما يجعل الدعوة إلى قراءة ماضي الفكر العربي دعوة إلى الإقبال على المعارف الحديثة، قبل أن يكون تشبثاً بالماضي الثقافي وتمسكاً به.

وإضافة إلى المعارف المستجدة، التي تملي قراءة الماضي من وجهة نظر الحاضر، هناك وقائع عملية وأسباب حياتية مشخصة، وهنا يأتي الأمر الثاني، الذي يمكن صياغته بالشكل التالي: تتحدد قراءة الماضي بالغايات العملية التي يقصدها الحاضر، كما لو كان الفكر القائم في الماضي يُطلب كي يقوم بدور عملي في الإجابة عن أسئلة الحاضر. غير أن هذه النقطة لاتلبث أن تطرح أكثر من سؤال، مثل: هل الفكر العربي الماضي إيجابي كله، أم أنه يحتضن الإيجابي والسلبي والمظلم والمستنير؟ وهل يبقى هذا الفكر جزءاً من الماضي حين يندرج في الحاضر ويعمل على تغييره؟ ألا تغير المستجدات الإجتماعية الفكر القديم المستقدم إليها؟ وما هي سمات الحاضر الأساسية التي يود أن يخاطب الموروث العربي؟

لاتحمل العودة إلى الماضي الكثير من المعنى إلا إذا وعت أن الموروث العربي لايشكل كلاً


محمد عبده


محمد رفاعة الطهطاوي


طه حسين

واحداً متجانساً، بل اتجاهات مختلفة، تحتاج إلى النقد والتقويم والحوار، بشكل يؤدي إلى استلهام الإيجابي والتخلي عما لايستطيع إضاءة الحاضر ومساعدته في الحصول على إجابات موافقة. ولعله من باب المغالطة الكبيرة أن يوضع ابن-سينا والشيرازي والغزالي وابن عربي وابن تيمية في إطار واحد، بحجة المرجع الإسلامي الذي يرجعون إليه. أكثر من ذلك، إن تقدم المعرفة، كما تغير في السياق الإجتماعي، يدفع الباحث إلى اتجاهات جديدة. وسواء قبلنا بالمناهج الغربية أم قمنا برفضها، فإن في الحياة الفكرية الغربية ما يحمل إيحاءات كثيرة. فهذا الفكر الذي انتسب غالباً بفخار إلى الثورة الفرنسية، كثورة أوروبية حداثية بامتياز، لم يتقاعس، بحق أو من دونه، بتجريح هذه الثورة وهجائها بمناسبة مرور قرنين عليها، مثلما أنه لم يخش وبالمناسبة ذاتها، أن يدافع عن ميراث العصور الوسطى المسيحية، بعد أن كان قد رأى فيها غالباً مرآة للإضطهاد ومحاربة المعارف والتقدم العلمي. وبالتأكيد فليس المطلوب مجاراة الغرب في البحث النظري، وهو أمرٌ لايحمل الكثير من المعنى، على أية حال، بقدر ما ان المقصود التعامل مع الموروث الفكري العربي بأدوات نقدية، تبحث عما تقادم وانتهى، وتفتش عما لايزال صالحاً.

غير أن البحث عن الصالح الموروث الفكري يطرح، بدوره سؤالاً جديداً هو: هل تحتفظ أفكار الماضي بطبيعتها حين تُستقدم إلى الحاضر وتندرج فيه؟ ألا تصبح جزءاً من الحاضر رغم انتسابها إلى الماضي؟ وهل يبقى الماضي ماضياً حين يشرح ويؤول بمفردات وبمفاهيم تنتمي إلى الحاضر؟ لقد قرأ طه حسين الشعر الجاهلي معتمداً على فلسفة ديكارت، وقام بعض النقاد العرب، لاحقاً بقراءة هذا الشعر بمعايير بنيوية، كما وضع المفكر الإسلامي السوري الدكتور مصطفى السباعي، في نهاية الخمسينات، كتاباً بعنوان: «الإشتراكية والإسلام» ودرس المفكر اللبناني حسين مروة «التيارات المادية في الفلسفة الإسلامية»، واتكأ المفكر المغربيّ محمد عابد الجابري على المناهج البنيوية وهو يدرس «بنية الفكر العربي».. وفي الحالات جميعها، فإن هذا الفكر، الذي تحاورة مفاهيم ومصطلحات حديثة، لايظل ماضياً كما كان، بل يتحول إلى جزء من ثقافة الحاضر، من دون أن يكون، بالضرورة، عنصراً إيجابياً فيها.

ينبغي التمييز نظرياً وعملياً، بين مفهومين مختلفين هما: تسليف الحاضر وترهين الموروث. فالأول منهما يستحضر الفكر الماضي إلى الحاضر لإعتبارات إيديولوجية وذرائعية، من دون أن يتأمل احتياجات الحاضر العملية، ومن دون أن يلمس الفرق الشاسع بين الحاضر والماضي، كأن يطلب محمد عابد الجابري اشتقاق العلمانية من الإسلام، أو أن يطالب عادل حسين بعلم إسلامي جوهري متحرر من آثار العلوم الغربية في وجوهها كلها. وعلى الرغم من حرص الجابري على الخصوصية العربية وطموحه إلى استقلال الذات الثقافية العربية، فإن اقتراحه لادقة فيه، لأن لفكرة العلمانية إشكالاً خاصاً بها، صادراً عن السياق الغربي الذي ولدت فيه. فقد تولد سؤال العلمانية في سياق الصراع بين البرجوازية والأوروبية الصاعدة في القرن السابع عشر والكهنوت الكنسي المتحالف مع النظام الإقطاعي، بينما جاءت الحداثة العربية، في قضاياها المختلفة، في إطار الصراع بين القوى الوطنية والقوى الأجنبية المعوّقة لطموحه. ولايختلف الأمر كثيراً لدى المفكر المصري الذي يتطلع إلى استقلال شامل للشخصية الثقافية الإسلامية، يدفعه إلى توليد العلوم جميعها من الخطاب الإسلامي، ناسياً أن علوماً معينة تتسم بالكونية ولاتحتاج إلى مرجع ديني.

وفي مقابل تسليف الحاضر، أي جعله تابعاً للماضي وخاضعاً له، كما لو كان الماضي هو الزمن الحقيقي الوحيد، يقف مفهوم ترهين الموروث، الذي يفترض التعامل النقدي من ناحية، وإدراج الموروث الذي تم نقده، في الحياة النظرية والعملية الحاضرة من ناحية ثانية. وعندها يتم تحويل الموروث إلى لحظة راهنة وإلى جزء عضوي من الثقافة الحديثة المعيشة، وهو الأمر الذي سعى إليه الفكر العربي النهضوي في بداية هذا القرن، كحال الشيخ محمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي وأحمد أمين، بعد فترة لاحقة. وواقع الأمر، وبسبب التغيرات الفكرية والإجتماعية، فإن الماضي الفكري العربي يشكل قوة إيحائية وأخلاقية ملهمة أكثر مما يشكل مرجعاًفكرياً، بالمعنى المعرفي للكلمة، فمن الصعوبة بمكان اشتقاق العلوم الحديثة مثل علم الإجتماع وعلم النفس والنظريات الجمالية، ناهيك عن العلوم الطبيعية الدقيقة، من الموروث العربي، لابسبب قصوره بل بسبب تبدل الأحوال والمعطيات، من دون أن يمنع ذلك تأمل الموروث والوقوف على دروسه. والمقصود بالقوة الإيحائية هو إعادة قراءة الحضارة الإسلامية التي شكلت رافداً أساسياً من روافد الحضارة الإنسانية، والتي حققت، ومنذ زمن طويل، صيغة: حوار الثقافات، فهذه الحضارة، التي اتخذت من الإسلام مرجعاً لها، ترجمت الفكر اليوناني وحاورته وفتحت نوافذ متعددة على الحضارة الهندية والفارسية. وبسبب هذا البعد الحواري، أي البعد الإنساني القائم على الإعتراف بالآخر، استطاعت أن تلعب دوراً محرضاً في النهضة الأوروبية في بداياتها الأولى.

في هذه الحدود، تبدو كلمة الماضي كلمة ساكنة، تقيم فاصلاً بين الأزمنة، في حين تظهر كلمة التاريخ أكثر دقة، على اعتبار أن مفهوم التاريخ يدرس الأزمنة في تفاعلاتها المتبادلة. والتاريخ هذا، لايصبح على ما هو عليه، إلا في علاقة القراءة المبدعة، التي تقرأ حاجات الحاضر، وتتكئ على هذه القراءة كي تقوم

بقراءة الوقائع الماضية. وبهذا المعنى فإن التاريخ لايقوم في الأزمنة، حاضرة كانت أو ماضية، بل في الوعي التاريخي الذي يدرك الفرق بين قضايا الأزمنة الماضية والأزمنة الحديثة، ويعي أولاً ما يستجد ويتبدل في الزمن الذي نعيش. أكثر من ذلك، إن وحدة العالم المتزايدة تفرض على الوعي العربي، إن أراد أن يكون تاريخياً، أن يعرف الفرق بين الأنا والآخر، سواء كان هذا الآخر أوروبياً أو آسيوياً. لذلك فمن السذاجة بمكان، الحديث عن رؤيا عربية خالصة، أو عن فكر عربي نقي، لأن الفكر العربي لايستطيع أن يخلق أسئلته إلا في إطار مجتمع إنساني عالمي تتقلص فيه الحدود يوماً بعد يوم.

ومع أن تعبير «الآخر» يبدو حديثاً، فإن العودة إلى التاريخ العربي، القديم منه والجديد، تظهر أن الفكر العربي لم يعرف الإنغلاق أبداً فلقد أفاد بقدر ما استفاد. ولعل العودة إلى القاموس اللغوي العربي، تكشف عن مفردات أجنبية كثيرة، ذات أصول فارسية أو يونانية أو لاتينية. والإستفادة اللغوية في زمن الصعود السياسي العربي، لاتعني التبعية الثقافية، أو الغزو الثقافي، بلغة اليوم بقدر ما تعني انفتاح العقول الإنسانية على بعضها بحثاً عن الحقيقة وسعياً وراء ما يسعف الإنسان على قضاء حاجاته. وبسبب ذلك ينبغي التفريق بين التثاقف، أو الحوار الثقافي، وبين التبعية الثقافية. فبقدر ما يشير المصطلح الأول إلى جهد نحو الإرتقاء وتحصيل المعارف الجديدة، فإن المصطلح الثاني يومئ إلى التقليد الأعمى والمحاكاة الشاردة. والأمر في الحالتين يستدعي مايمكن أن يدعى بـ: السلطة الثقافية، أي قوة تأثير ثقافة معينة على غيرها، وهي سلطة لاتنفصل عن سلطات أخرى متلاحمة معها، مثل السلطة الإقتصادية والسلطة السياسية والسلطة المعرفية. ففي حال الضعف والتقوّض تنتشر التبعية الثقافية وتشتد أسبابها، بينما يتطلب الحوار الثقافي الفعال سلطة فاعلة في المستويات الإجتماعية المتعددة.

ولعل موضوع «الآخر» يدفع إلى إعادة قراءة الماضي العربي القريب، أي بدايات النهوض الفكري العربي، في منتصف القرن الماضي وبدايات هذا القرن. فقد استأنس المفكر المصري رفاعة الطهطاوي بفكر الفرنسي مونتيسكيو وقام بترجمته، وتأثر الشيخ محمد عبده بالفكر التطوري الإنجليزي المرتبط بداروين وسبنسر، مثلما نظر اللبناني أحمد فارس الشدياق إلى الأفكار الإصلاحية الإنجليزية والفرنسية، كما أعجب الفلسطيني خليل السكاكيني بأفكار الألماني نتيشه.. بل أن الفكر القومي العربي نظر منبهراً إلى أفكار هيرور وفيخته الألمانيين.. إضافة إلى التاليف المسرحي والروائي، الذي لم يكن ممكناً من دون الإنفتاح على الثقافة الأوروبية من وجهة نظر الحاجات الوطنية.

يتجدد الفكر كما أشرنا في علاقته الفعلية بالحاجات العملية للمجتمع العربي، أي بإنطلاقه من الوقائع المشخصة لا من الأفكار المجردة. ولذلك فإن مفهومي الأصالة والحداثة يحتاجان إلى الكثير من التحديد، قبل استعمالهما، طالما أن السؤال الجوهري يرتبط بالحاجة العملية لا بالهوية المجردة. فالإنسان العربي لايدافع عن اصالته إلا في مجتمع قوي يساوق التحولات العالمية ولا يلهث وراءها، ذلك أن الأصالة لاترد إلي اللغة والتقاليد المتوارثة فقط، إنما ترد أولاً إلى الإبداع الإجتماعي والجماعي الذي يستطيع أن يدافع عنها. كما أن الحداثة لاتختصر بأي حال من الأحوال إلى استيراد الكماليات وتقليد طرق الحياة التي يأخذ بها الآخر الأوروبي، إنما تتعين أولاً بالإرتقاء الدرسي والجامعي والعلمي والإقتصادي، الذي يحققه وينجزه المجتمع. ولهذا ينبغي التمييز بين التصور الزخرفي، أو الشكلي، للأصالة والتصور التاريخي لها، فهي في التصور الأول تحتضن الذهني والنفسي والروحي ولاتكترث بالإقتصادي والواقعي والمشخص، في حين أن التصور التاريخي للأصالة يشتقها من تطور المجتمع في مستوياته كلها.

يطرح موضوع الأصالة والحداثة موضوع الهوية العربية، التي تختلف دلالتها باختلاف الوعي الذي يتعامل معها. فالبعض يعتقد أن الهوية العربية منجزة وكاملة ومتحققة، لها لغة معينة ومرجع ديني واضح وتاريخ بيّن تنتمي إليه، أي أن لها من الصفات ما يميّزها عن هوية أوروبية أو أمريكية أو يابانية. غير ان هوية كهذه هي هوية ساكنة وصامته وغير قابلة للتقدم، لأن الكامل، وبسبب كماله، لايتطور ولا يحتاج إلى التطور، ولذلك فإن الإعتراف بالهوية العربية والتمسك بها والدفاع عنها يحتاج إلى نظر آخر، يراها كهوية دينامية متطورة ومتغيرة، وهذا النظر، الذي يدافع فعلياً عن الهوية العربية، لايراها مفردة ومنعزلة عن غيرها، لأنه يقرأ الهوايات الأخرى المغايرة قبل أن يقرأ هويته. وبفضل هذه القراءة، إن كانت صحيحة فإنه يدرك نقاط القوة ونقاط الضعف في هويته، ويعمل من أجل تحصينها وترميمها، أي يتطلع إلى هوية فاعلة لاتقل قوة ونفوذاً في الهويات المعاصرة الأخرى.

والسؤال الذي يطرح مباشرة هنا هو: ما هي هوية الفكر العربي؟ والإجابة بسيطة ترد هذه الهوية إلى اللغة أو الدين أو التاريخ، أو إلى هذه العناصر مجتمعة. غير أنه يمكن رؤية الإجابة من زاوية أخرى. والقول: لاتتعرف هوية الفكرالعربي بمراجعه الذاتية الخاصة به بل بفاعليته التاريخية في فتح أفق جديد للمجتمع العربي، أي بقدرته على شرح الواقع العربي اليوم، بعيداً عن الأوهام والأفكار الجاهزة. وإذا كانت الإجابة البسيطة تعين الفكر العربي بمجموعة من البديهيات المدرسية، فإن الإجابة المفتوحة أو القلقة تضع هذا الفكر في إطار التحدي والإستجابة، أي في إطار يجعله يواجه المشاكل ولايهرب منها، كأن يسأل: ما هي شروط وإمكانيات السلام في المجتمع العربي؟ ما العلاقة بين المجتمع والسلطة، ومتى تكون السلطة قادرة على الدفاع عن المجتمع وتحقيق هويته. ما هي العناصر الضرورية لتحقيق أمن غذائي عربي؟ هل مصطلح الوحدة العربية مازال صالحاً أم أنه من الضروري البحث عن مصطلح آخر أكثر واقعية؟ ما معنى الأمن القومي في عالم مضطرب ومتغير؟ ما العلاقة بين المناهج المدرسية والثورة المعلوماتية التي تكتسح العالم اليوم؟ هذه الأسئلة، وكثيرٌ غيرها، هي التي تحدد في المستقبل هوية الفكر العربي التاريخية، وتبرهن إن كان قادراً على مسايرة المتغيرات الدولية، أم أنه كمجتمعه العربي، سيخرج من التاريخ، بلغة الإقتصادي المصري فوزي منصور. ولذلك فإن حديث الفكر القومي سابقاً عن هوية عربية منجزة، كما فعل الأرسوزي وقسطنطين الزريق الشاب والحصري، ليس دقيقاً تماماً. شأنه كشأن الكثير من الكتابات الدينية اليوم، التي تفصل بين الهوية الإسلامية والهويات الثقافية الإنسانية الأخرى فصلاً كاملاً. وهو ما فعله أيضاً مثقف تنويري هو أنور عبد الملك في كتابه «ريح الشرق» حين أقام بين الشرق والغرب هوة سحيقة.

وإذا كان كل الحديث عن الماضي لامعنى له إلا في علاقته بالحاضر المعيش اليوم، فإن على الفكر، الذي ينتسب إلى هوية معينة، أو يفتش عنها، أن يسأل عن المسار الذي قطعه المجتمع العربي منذ بداية هذا القرن حتى اليوم، أي حتى نهاية القرن الذي يتخلص، سريعاً من سنواته الأخيرة.

ولعل الرجوع إلى المشاريع الطموحة التي حلم بها الفكر العربي، قبل قرن من الزمن على الأقل، وتأمل المآل الذي انتهت إليه يفصح سريعاً عن خيبة أمل واسعة، كما لو كان المجتمع العربي يتراجع إلى الوراء عوضاً عن أن يتقدم. فقد حلم الفكر العربي، الممتد من الطهطاوي إلى خالد محمد خالد، ومن ابن باديس إلى عبد الرحمن الشهبندر، ومن أمين الريحاني إلى جمال حمدان، بنهوض عربي في العلوم والثقافة والتعليم والتصنيع، إضافة إلى سوق عربية اقتصادية مشتركة، فضلاً عن الوحدة العربية وتحرير فلسطين.. غير أن الواقع المشخص وصل إلى شيء آخر، وهذا يفرض أسئلة كثيرة منها: هل كان الفكر العربي واقعياً وهو يحلم بمجتمع عربي يساوق ويزامل المجتمع الأوروبي كما فعل طه حسين؟ وهل الوحدة العربية حلمٌ طوباوي

أم أن الواقع العربي، في اختلافاته وتمايزاته وتناقضاته، لايسمح لها بالتحقيق؟ ولماذا تدخل بعض المجتمعات العربية في أزمات مؤسفة وحزينة؟ إن هذه الأسئلة لاتعني بالضرورة أن الفكرالعربي كان خائباً كله، مثلما أنها لاتعني أنه كان على صوابٍ دائماً. وعلى هذا، فإن الحديث عن آفاق جديدةٍ للفكر العربي يستلزم معاينة نزيهة لهذا الفكر في تاريخه القريب، من أجل التعرف على نقاط قوته، إن وجدت، وعلى نقاط هشاشته وضعفه. فقد دافع هذا الفكر عن التحرر الإجتماعي والتحرر الوطني والعدالة والمساواة وحق التعليم وتحرير المرأة والوحدة العربية.. إلا أنه وهو يفعل ذلك كان يعتقد أن التاريخ يتقدم بشكل مطرد ومتتابع، بل أن حركة التاريخ هي حركة تقدمه المستمر، مثلما اعتقد أن المعرفة لوحدها هي ضامن الحقيقة، من دون تأمل إشكالية السلطة والمجتمع والحصار الخارجي. وقوة المعرفة هذه، التي أخذت شكل الإيمان المطلق، دافع عنها خير الدين التونسي وطه حسين ورئيف خوري وشبلي شميل ومهدي عامل وغيرهم.

«من أراد أن يخاطب المستقبل عليه أن ينعزف على الماضي» قول مأثور، ينطبق علىجميع المجتمعات بقدر ما ينطبق على المجتمع والفكر العربيين. وبالتأكيد، فإن الإجابة لن تكون صحيحة، إذا رأت في الماضي القريب خيراً كاملاً أو شراً كاملاً. فإذا كان الماضي شراً كله، فإن المستقبل يغدو مستحيلاً، لأنه لايمكن لأي مشروع أن يبدأ من صفر مطلق. أما إذا كان الماضي خيراً كله، فمعنى ذلك أنه انتصر وأنه منتصر ولا ضرورة بالتالي لنقده او تغييره، وهو قول فاسد يفضي إلى لاشيء.

ومن أجل منظور أكثر وضوحاً، يضيء لنا المستقبل الذي نبحث عنه، يمكن العودة إلى تاريخ آخر، تقدم وتطور حتى أصبح مسيطرا على المستوى العالمي، وهذا التاريخ هوالتاريخ الأوروبي، فقد بدأ هذا التاريخ بالثورة البرجوازية، وتابع تقدمه إلى أن وصل إلى طور جديد، يدعى باللغة المسيطرة الآن بـ: العولمة، التي يحتفل بها البعض إلى درجة التصفيق، ويهرب منها بعض آخر كما لو كانت وباءً، علماًأن الأمر الحقيقي لاعلاقة له بالتصفيق ولا بالهرب ووضع الرأس في الرمال.

إن العولمة طور موضوعي من أطوار التقدم الرأسمالي، الذي ولد منذ خمسة قرون تقريباً. فقد بدأ هذا التقدم بالثورة العلمية التي فتحت آفاقاً جديدة في العلوم المختلفة. ومما ساعد على هذا التقدم صعود برجوازية أوروبية مبدعة حولت نتائج العلم إلى قوة منتجة، مازجة، في ذلك بين الثورة العلمية والثورة الصناعية. بل أن تحويل العلم إلى قوة منتجة، أي تطبيقية في صناعات مختلفة واستثماره المستمر في الصناعة، ساعد على تقدمه وعلى تطور الصناعة في آن.

وهذا التفاعل المستمر بين العلم والصناعة أفضى بدوره إلى ثورةلاحقة، هي التي عُرفت بعد الحرب العالمية الثانية، باسم الثورة العلمية - التقنية، التي لعبت دوراً فاعلاً في التقدم العسكري وغزو الفضاء.. وعن هذه الثورات مجتمعة، الثورة العلمية والثورة التقنية - العلمية - المشروطتين بالثورة الصناعية، صدرت الثورة المعلوماتية الراهنة، التي هي عنصر مسيطر في ظهور العولمة الجديدة.

في هذه الحدود، فإن العولمة واقع موضوعي له شروطه وأسبابه التي أدت إليه، شروط تتميز بتراكم المعرفة العلمية واسباب قوامها السلطة الإقتصادية والصناعية. ومع أن العولمة تحيل على السياسة كان يتم الحديث عن سياسة أحادية القطب، أو عن صعود الشمال وتهميش الجنوب، فإنه لايمكن تحديد معنى العولمة استناداً على العنصر السياسي، ذلك أنها مرتبطة بنهوض شامل عمره عدة قرون. وبسبب ذلك يجب التمييز بين امتلاك السلطة المعلوماتية واستيراد الأدوات والأجهزة العلمية. فكما أن البعض يعتقد أن العولمة مؤامرة شريرة، فإن بعضاً آخر يعتقد أن شراء الآلات الحاسبة برهان على الدخول في عصر العولمة. وواقع الأمر أن شراء الآلات، معقدة كانت أو بسيطة، يدخل في التجارة أكثر مما يدخل في الإبداع العلمي، لأن الأخير يحتاج، كي يتحقق إلى عناصر كثيرة، يتضافر فيها التقدم العلمي والتقدم الصناعي والاستعداد التقني الذي يحيل على المعاهد والمؤسسات العلمية. وبالتأكيد، فإن هناك تفاعل وتبادل في المعلومات والإنجازات الإنسانية، من دون أن ينفي ذلك أن الكتاب العلمي يحتاج إلى عقل علمي كي يقرأه ويحسن التعامل معه، بقدر ما يحتاج إلى مدارس تأخذ بالمناهج العلمية، وتقيم علاقة وطيدة بين المنهج المدرسي واحتياجات الحياة، وبين التقدم العلمي والحقل الإقتصادي.

ومثلما ينبغي التمييز بين امتلاك السلطة المعلوماتية وشراء الأجهزة العلمية، ينبغي أيضاً إدراك المسافة بين رفض العولمة والرد عليها. فإذا كان الرفض هذا أمراً لامعنى له، لأن العولمة قائمة وموضوعية في وجودها، فإن المطلوب هو البحث عن السبل التي تدفع بالفكر العربي إلى اللحاق بها، أو احتواء آثارها السلبية، أو المشاركة الإيجابية فيها، إن كان ذلك ممكنا، كمايعتقد البعض.. السؤال الذي يطرح هنا هو: لماذا لم ينجز الفكر العربي الحديث ثوراته العلمية؟ وهل الماضي الأوروبي هو المستقبل الفكري العربي؟ وهل يستطيع هذا الفكر ان يلحق بفكر «الآخر» ام ان عليه أن يختار طريقاً خاصاً به من دون ان يرى في «الآخر» نموذجاً ومثالاً؟

وواقع الأمر انه لايمكن التنبؤ بشيء كثير، خاصة إذا رجعنا إلى الأسئلة الفكرية الأساسية التي كان يدور حولها الفكر العربي قبل قرن من الزمن، والتي لايزال يحاورها حتى الآن. فقبل مائة عام، وفي مثل هذه الأيام، كان الفكر العربي يتأمل المواضيع التالية: العلم والإيمان، وموقف الإسلام من العلم الغربي، هوية عربية أم هوية إسلامية، نظام سياسي يماثل الغرب أم نظام سياسي منبثق من التقاليد، الرجوع إلى التراث أم الإنطلاق من التراث، مواجهة الغرب بالهوية الدينية أم بالمعرفة الحديثة.. إن هذه الأسئلة التي طرحها الأفغاني والكواكبي ورشيد رضا ومحمد حسين هيكل وحسن البنا لاتزال قائمة ومستمرة، كما لو كان الفكر العربي غالباً يتقهقر عوضاً عن أن يتقدم أو كما لو كان المجتمع يدفع الفكر إلىالتقهقر قبل أن يتقدم. ولذلك ظل الفكر العربي يراوح في مكانه مشدوداً إلى زمنين أساسيين لا يساعدانه على الحركة الطليقة. فهو إما مشدود إلى الماضي، حالماً بمحاكاته واستعادته، وهو أمر مستحيل، لأن التاريخ في حركة مستمرة ومتغيرة، أو أنه مشدود إلى النموذج الأوروبي، متطلعاً إلى تقليده والأخذ بمعاييره، وهو أمر مستحيل أيضاً، لأن الفكر الأوروبي اشتق أسئلته وإجاباته من واقعه التاريخي الخاص به. وفي هذا الإنجذاب إلى اتجاهين متعارضين، يظل الواقع العربي القائم مغيباً، أو مهمشاً، علماً أن انتاج المعرفة لايتحقق إلا انطلاقاً من الأسئلة القائمة التي يعيشها الإنسان بشكل يومي. ولهذا، فإن التاريخ الحقيقي، من وجهة نظر المعرفة العلمية، هو الحاضر، الذي يتكثف فيه الماضي ويتخلق فيه المستقبل.

إن التمحور حول الزمن الراهن هو الذي يفتح للفكر العربي آفاقاً جديدة، خاصة حين يسائل الفكر القضايا المشخصة ويحاورالأسئلة المحددة. فالماضي العربي الإسلامي، كما أشرنا، هو قوة إيحائية ومعنوية وأخلاقية لا أكثر، أما الحاضر الأوروبي فهو حاضر مختلف ومغاير للحاضر العربي الذي نعيش. ولعل الوقوف أمام هذا الحاضر العربي، في أسئلته الإقتصادية والسياسية والثقافية، هو الذي يحدد مستقبل الفكر والمجتمع العربيين، إما باتجاه التقدم والإرتقاء، أو في اتجاه «الخروج من التاريخ» لأن إعادة الإعتبار إلى التاريخ تستلزم اعتبار الزمن الحاضر زمناً أساسياً، يستند إليه الفكر العربي وهو يقرأ ماضيه القريب والبعيد، ويعتمد عليه أيضاً وهو ينظر إلى «الآخر الأوروبي» الذي أنجز ثورات علمية ومعرفية وصناعية متعددة، قبل أن يصل إلى أرض جديدة، عنوانها: العولمة الجديدة.

إن الزمن التاريخي الحقيقي هو الحاضر، الذي ان كان مبدعاً، احتضن كل طاقة الماضي المبدعة، وارتكن إلى هذا الإبداع المزدوج للتوجه إلى المستقبل. فليس المستقبل أكثر من الأدوات والإمكانيات والجهود التي نصرفها ونحن ذاهبون إلى أبوابه المحتملة ■■

الإنتخابات الرئاسية الجزائرية

خروج من المأزق أم تجدد في الأزمة؟

ناصر أبو العلا



بوتفليقة



الإبراهيمي

ترنو عيون الجزائريين، كما جميع الشعوب العربية بأمل وتفاؤل إلى يوم الخامس عشر من نيسان الجاري، موعد الإنتخابات الرئاسية الجزائرية، لعله يكون يوم الخروج من مأزق النفق المعتم الطويل الذي عاشه بلد المليون شهيد طوال السنوات الماضية، ودفع جراء ذلك ثمناً باهظاً من دماء ابنائه، وثرواته، وأمنه، واستقراره.

إن خروج الجزائر من دوامة العنف الدموي، وعودته إلى بناء دولة المؤسسات، والقانون وإرساء معالم التعددية والديمقراطية، والإنتقال السلمي للسلطة هو ليس في مصلحة الجزائر فحسب، بل في مصلحة جميع العرب، وفي مصلحتنا نحن الفلسطينيين الذين تربطنا بالجزائر علاقات تاريخية ونضالية متميزة.

قبل الدخول في استعراض، وقراءة خارطة التيارات السياسية وخلفيات المرشحين السبعة الذين يتنافسون على منصب الرئاسة، لابد من الإشارة إلى أن وصول الجزائر إلى هذه المرحلة من التوافق بين التيارات والأحزاب والقوى السياسية والإجتماعية الفاعلة هي التي هيأت الأجواء السياسيةوالأمنية لإجراء مثل هذه الإنتخابات، وهذا يعتبر بحدّ ذاته قفزة نوعية في تاريخ هذا البلد، يجب أن تسجل له، إذ لولا قناعات القوى الحية الفاعلة بأن الحلول الأمنية غير كافية وحدها لإخراج الجزائر من محنته، لما وصلت الأمور إلى هذه النقطة من التوافق، لأن أساس الأزمة هو اجتماعي وسياسي وبالتالي لابدّ من الإصلاحات والحلول السياسية العميقة للخروج من الأزمة، وهذا يحيلنا إلى أن الرئيس الأمين زروال ما كان ليدعو إلى انتخابات رئاسية مبكرة لولا قناعته بهذه المسالة وذلك بغض النظر عن التأويلات الكثيرة التي تفسّر بعضها أسباب تنحي الرئيس بأنه نتيجة ضغوط، وخلافات بينه وبين المؤسسة العسكرية التي تمثل القوة الضاربة في البلاد.

إن تأكيد الرئيس زروال، وتعليماته الموجّهة إلى الحكومة بضرورة سير الإنتخابات بنزاهة كاملة، وبدون أية ضغوط على المرشحين لضمان استقلاليتهم، وبالتالي تأكيد المؤسسة العسكرية على حياديتها، وعدم تدخلها بسير الإنتخابات لهو دليل على الشفافية التي تحاول الجزائر تكريسها اليوم تمهيداً لإستقبال استحقاقات المرحلة القادمة، وفي هذا الإطار يمكن الإشارة إلى بعض الأمثلة التي تؤكد ما ذهبنا إليه، إذ وُجهت انتقادات علنية إلى وزير الدفاع السابق، الجنرال خالد نزار حول تصريحاته بدعم المرشح عبد العزيز بوتفليقه، التي اعتبرها البعض إشارة إلى دعم المؤسسة العسكرية لهذا المرشّح.

ولأن هذا من شانه أن يزعزع الثقة بنزاهة الإنتخابات سارع مسؤولون عسكريون كبار، من بينهم رئيس الأركان اللواء محمد العماري إلى إصدار بيانات تؤكد حياد المؤسسة العسكرية وعدم تدخلها بسير الإنتخابات، واضطُر بالتالي خالد نزار إلى التصريح بأنه لايمثل المؤسسة العسكرية، وبانه يطرح فقط «رأيه الشخصي».

من جهة أخرى فإن مجرد موافقة بعض الرموز التاريخية على خوض الإنتخابات كالمرشح أحمد طالب الإبراهيمي، وحسين آيت أحمد، ومولود حمروش يعتبر بحدّ ذاته دليلاً على دخول الجزائر مرحلة تاريخية جديدة من التوافق في إطار الصراع والتنافس السلمي بين التيارات السياسية والجهوية لخوض الإنتخابات على أساس احترام القانون، واحترام خيارات الناخب الجزائري الذي يتطلع بتوق إلى الأمن والإستقرار وإعادة البناء.

سبعة مرشحين

المرشحون الذين نجحوا في الحصول على تواقيع ٨٠ ألف صوت لتثبيت ترشيحهم حسب القانون الإنتخابي الجزائري هم: عبد العزيز بوتفليقة، أحمد طالب الإبراهيمي، مولود حمروش، وحسين آيت أحمد، ومقداد سيفي، ويوسف الخطيب، والشيخ عبد الله جاب الله.

هؤلاء سيخوضون الإنتخابات على مرحلتين، ولابد أن يحصل كل مرشح على ستة ملايين صوت كي يفوز بالدور الأول من أصل عدد الأصوات البالغ ١٧,٤ مليون ناخب، وهو عدد الهيئة الإنتخابية الذي سجلته وزارة الداخلية الجزائرية من أصل ١٩ مليون جزائري لهم حق التصويت.

في الدور الثاني يجب أن يصل إثنان من أصل سبعة مرشحين كي يخوضا التنافس على منصب الرئاسة.

تتوزع التيارات السياسية في الجزائر بين ثلاثة اتجاهات رئيسية: الإتجاه الوطني، والإتجاه الإسلامي، والإتجاه العلماني، لكن شخصية المرشح (لابرنامجه السياسي) هي التي تشكّل محور اهتمام الناخب الجزائري، وعليه سوف نعطي لمحة سريعة عن أوضاع كل مرشح وبرنامجه الإنتخابي.

بوتفليقة

عبد العزيز بوتفليقة، وزير الخارجية الأسبق، في عهد الرئيس بومدين وهو يمثل جهوياً الغرب الجزائري، ويحظى (كما يُقال) بتأييد أوساط في المؤسسة العسكرية، التي حولته من «مرشح حر»، وهي الصفة التي يطلقها على نفسه، إلى «مرشح الجيش»، ثم جاءت تزكية اللجنة المركزية لجبهة التحرر الوطني، وتزكية اتحاد عمال الجزائر، لتجعل منه «مرشح إجماع» وهو حسب المراقبين، الأوفر حظاً في إمكانية النجاح والوصول إلى سدة الرئاسة.

يركّز بوتفليقة في برنامجه الإنتخابي على ضرورة «اجتثاث العنف، وإعادة ثقة المواطن بمؤسساته، وإعادة الأمل كشروط للخلاص الوطني»، ويعتبر أن أول واجبات الدولة، «ضمان أمان المواطن بشكل حازم ومن دون مغالاة»، كذلك فإن أسباب العنف برأيه هي «أسباب سياسية أساساً» لذلك يؤكد على حق جميع الجزائريين مهما اختلفت قناعاتهم وتوجهاتهم في التعبير عن آرائهم، والدفاع عن حقوقهم وحرياتهم وإرثهم الروحي والثقافي المتكامل العناصر ـ الإسلامية والعروبية والأمازيغية ـ التي تكوّن الهوية الجزائرية.. والتي يجب أن تبقى بمنأى عن كل مزايدة سياسية!

الإبراهيمي

أحمد طالب الإبراهيمي هو أيضاً من رموز العهد البومديني، وأحد الرموز التاريخية، ونجل السيد بشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين، الرمز الديني للمقاومة الجزائرية،



آيت أحمد



حمروش



جاب الله



الخطيب



سيفي

والحركة الإصلاحية والعلمية.. شغل عدة مناصب رفيعة من بينها وزيراً للتربية، ووزيراً للثقافة في عهدي بومدين والشاذلي بن جديد، ثم وزيراً للخارجية من عام ١٩٨٢ حتى ١٩٨٨، ويعتبر من أشدّ المنافسين لعبد العزيز بوتفليقة.

يتميز الإبراهيمي بوضوح برنامجه الإنتخابي، الذي يدعو صراحة إلى الإنفتاح على جبهة الإنقاذ الإسلامية، والتعامل معها «باعتبارها قوة رئيسية في الساحة»، كذلك فهو من دعاة إبعاد الجيش عن السياسة، ويقدّم نفسه باعتباره مرشحاً حراً رغم انتمائه إلى جبهة التحرير الوطنية.

الأولويات التي يركز عليها هي: ترسيخ الوحدة الوطنية، لتمكين كل الفئات من التعايش ومقاومة عقلية الثأر والحقد والإقصاء.

- محاربة التعسف وإزالة الظلم الإجتماعي وتطبيق العدالة واستعادة الثقة بين الحاكم والمحكوم - انعاش الإقتصاد الوطني ومتابعة الإصلاحات - دمج الشباب في مسيرة البناء الوطني، وإعادة الإعتبار لمكانة الجزائر ودورها الإقليمي والعربي والدولي.

آيت أحمد

حسين آيت أحمد: هو أيضاً من الرموز التاريخية للثورة الجزائرية. أسس جبهة القوى الإشتراكية في أيلول ١٩٦٣، ثم اختار المنفى ومعارضة النظام حتى عام ١٩٨٩، عاد إلى بلاده مع عودة التعددية الحزبية. من شعاراته: «لا للنظام البوليسي، لا للدولة الأصولية».

تدعمه مناطق القبائل الكبرى، والصغرى (نحو مليون صوت)، ويحمّل السلطات مسؤولية الأزمة ويدعو في برنامجه الإنتخابي إلى «إحلال السلم ورفض العنف، والوقوف بحزم أمام كل محاولات ضرب الجزائر في وحدتها ومستقبلها».

يدعو آيت أحمد بشدة إلى ضرورة نقل السلطة بشكل تدريجي ومنظم من المؤسسات العسكرية، إلى المؤسسات المدنية، ويعتبر أن لاحل للأزمة من دون حوار يجمع كل الأطراف بما فيها المعارضة الإسلامية.

محسوب جهوياً على القبائل، وهو مع فرض اللغة الأمازيغية، وتطبيق التعريب بصورة تدريجية. لاندري إذا كانت الأزمة القلبية التي واجهته مؤخراً ستؤثر على ادائه الإنتخابي.

حمروش

مولود حمروش: من مواليد قسنطينة، التحق بجيش التحرير الوطني وهو في السادسة عشرة من العمر، تولى رئاسة الحكومة في عهد الشاذلي بين أيلول ١٩٨٩ وحزيران ١٩٩١.

يعتبره المراقبون بأنه رجل «إصلاحي حذر»، يتحفظ في الرأي حول التعامل مع جبهة الإنقاذ الإسلامية بالرغم من تاكيده على اعتماد الحوار أساساً لحل الأزمة.

يعتبر أن الإنتخابات الرئاسية «لحظة استراتيجية لإحداث القطيعة مع التبعية والتقهقر، ولإخراج المجتمع من دوامة العنف».

يؤكد أن الأزمة سياسية واجتماعية واقتصادية، وبالتالي فهي أزمة، وطنية تعبر عن أزمة هوية وثقافة، لذلك يستدعي حلّها إشراك المواطنين في كل ما له علاقة في إدارة السلطة.

الشيخ جاب الله

الشيخ عبد الله جاب الله وهو داعية إسلامي، حُرم من حقوقه المدنية عام ١٩٧٩، وسجن مرتين، أسس عام ١٩٨٨ حركة النهضة، ثم انسحب منها بعد تزكية الحركة للمرشح بوتفليقة ليؤسس حركة الإصلاح الوطني، ويترأسها، تقدم إلى الإنتخابات الرئاسية كمرشح «حر». يرى «أن الشعب الجزائري ملّ سياسة التدمير، ومنطق الإستئصال وأسلوب الإقصاء»، ويدعو إلى وقف النزيف، وإيجاد حل للأزمة والتعامل بشكل إيجابي مع جبهة الإنقاذ الإسلامية، ورفع حالة الطوارئ وإقامة حكومة وحدة وطنية، وتعزيز الحريات العامة وتعديل الدستور بحيث تعطى للسلطة القضائية، صلاحيات أوسع، وهو المرشح الإسلامي الوحيد.

الخطيب

يوسف الخطيب، وهو طبيب من أبطال التحرير الذين لم يشاركوا في النظام. استقال عام ١٩٦٧ من عضوية قيادة الثورة، وعاش في عزلة سياسية، عاد لممارسة الحياة السياسية عام ١٩٩٢ عبر مشاركته في لجنة الحوار الوطني ثم قاد الحملة الإنتخابية للرئيس زروال وعمل مستشاراً له حتى عام ١٩٩٦.

يدعو في برنامجه إلى «تغيير أساليب النظام والقطيعة مع ممارساته القديمة ووضع حد لمن يستخدم الإسلام لأسباب سياسية ويرى الحل الأمني في الإستمرار في محاربة الإرهاب بكل الوسائل المتوفرة لدى الدولة في إطار احترام القوانين». ويشدد على ضرورة «تحقيق اصلاحات جوهرية على الدستور وتأسيس برلمان واحد بديلاً عن مجلس الأمة والمجلس الوطني لكي يصار إلى توحيد الصلاحيات».

مقداد سيفي

وهو رجل تكنوقراط ناجح، رئيس حكومة الرئيس زروال من نيسان ١٩٩٤ حتى كانون الأول ١٩٩٥، يشغل حالياً منصب النائب الأول لرئيس مجلس الشعب الجزائري، وهو عضو في المكتب السياسي لحزب التجمع الوطني الديمقراطي.

تقدم إلى الإنتخابات بصفة «مرشح حر» فيما يرى المراقبون أنه مرشح «حزب السلطة». يطرح نفسه بديلاً عن التيار الإسلامي وعن النظام، ويركّز على خبرته في مجال الإدارة وتسيير الأمور، يطرح في برنامجه «الحوار كوسيلة لتحقيق السلم الأهلي، المرتكز على محاربة الإرهاب واستئصال كل الأسباب الإجتماعية له وفي ظل حكم القانون وحده». يرفض الحوار مع «الجماعات المسلحة»، لكن لايسقط عن أعضاء جبهة الإنقاذ حقوقهم السياسية وحقهم في التعبير والمشاركة شرط أن يشجبوا العنف والإرهاب.

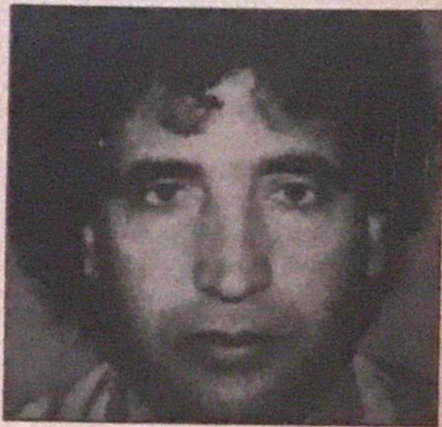
يدعو لحل الأزمة الإقتصادية عبر تشجيع الصناعة والإستثمارات الفردية والخارجية.

على الأرجح، ستنحصر المعركة الإنتخابية بين بوتفليقة والإبراهيمي وبغض النظر عن بعض التحليلات التي ترى في نجاح بوتفليقة «نجاحاً للمشروع العسكري بوجه مدني»، أو تلك التي ترى في الإبراهيمي حاملاً وقائداً للمشروع المدني.. نقول رغم ذلك فإن الخروج من المأزق لن يكون إلا بتحقيق الديمقراطية والإنفتاح على كل التيارات، وتأكيد حرية المواطن الجزائري، واحترام حقه من خلال احترام خياراته ■■

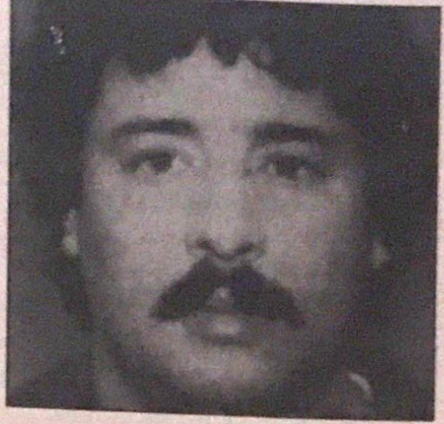
أزمة «لوكربي» تقترب من فصلها الختامي:

هل ينتهي الحصار أخيراً؟

عصام سلامة



عبد الباسط المقراحي



الامين خليفة فحيمة

أوشكت أزمة «لوكربي» على الوصول إلى فصلها الختامي، حيث نجحت مؤخراً الوساطة السعودية - الجنوب أفريقية وبرعاية الأمم المتحدة في إقناع ليبيا بالموافقة على الإلتزام بتعهدها، وقامت بتسليم المواطنين الليبيين المشتبه فيهما بقضية لوكربي، عبد الباسط المقراحي والأمين خليفة فحيمة إلى محكمة اسكتلندية في هولندا، وذلك قبل يوم واحدٍ فقط من الموعد المحدد لذلك والمقرر في السادس من نيسان الجاري، وعلى أساس أن تجري لهما محاكمة عادلة ونزيهة وتحت إشراف دولي، وقد عُلِّقت على الفور العقوبات المفروضة على ليبيا عملاً بقرار مجلس الأمن الدولي رقم ١١٩٢ والصادر في أغسطس الماضي، وهكذا يكون قد أسدل الستار على العقبة الأساسية في ملف أزمة «لوكربي».

وأصل مشكلة «لوكربي» يعود إلى حادثة تفجير طائرة «بانام» الأمريكية فوق قرية لوكربي في اسكتلندا في ٢١ ديسمبر ١٩٨٨م، أي قبل نحو أكثر من عشر سنوات بقليل، والذي أسفر عن مقتل (٢٧٠) شخصاً.

واستمرت التحقيقات الأولية لهذه القضية أكثر من ثلاث سنوات إلى أن صدرت من أمريكا وبريطانيا مذكرة اعتقال بحق الليبيين في ١٤ تشرين ثاني ١٩٩١م، وبعد ذلك بمدة قصيرة صدرت عدة قرارات عن مجلس الأمن الدولي حول قضية «لوكربي» أبرزها القرار رقم ٧٤٨ الصادر في ٣١ آذار (مارس) ١٩٩٢م، وكذلك القرار رقم (٨٨٣) والصادر في ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٣م، وبموجب هذين القرارين فرضت العقوبات الدولية على ليبيا والتي تنص على حظر جوي وعسكري، وعززت هذه الإجراءات بتجميد الأرصدة المالية لليبيا في الخارج وفرض قيود على استيراد بعض المعدات النفطية.

وقد أبدت ليبيا ومنذ بداية أزمة «لوكربي» استعدادها للقبول بمحاكمة عادلة وفي دولة محايدة، وقدمت خلالها العديد من الإقتراحات البناءة عبر ممثلها في الأمم المتحدة وعبر الجامعة العربية ومنظمة الوحدة الأفريقية.. إلا أن جميع هذه الدعوات لم يتم الإستجابة لها من قبل الولايات المتحدة وبريطانيا وأصرتا على وجوب تسليمهما المتهمين الليبيين؟!

واستمرت أزمة «لوكربي» تراوح مكانها بين أخذٍ ورد، واستمر الحصار الظالم على ليبيا، إلى أن حدث تطور مفاجئ في شباط (فبراير) ١٩٩٨م، يعزز الموقف الليبي على الصعيد الدولي، حيث قضت محكمة العدل الدولية باختصاصها في الشكوى الليبية دون أهليتها للإشراف على المحاكمة، وهذا مازاد من صعوبة الموقف الأمريكي - البريطاني وأضعف مصداقيته واظهر زيف ادعاءاته.

إن الموقف الحكيم للقيادة الليبية والذي تجلى بالوصول في نهاية المطاف إلى حل لإنهاء هذه القضية الشائكة والمرونة المشروطة بضمان محاكمة عادلة لمواطنيها الليبين وتحت إشراف الأمم المتحدة وحصولها على التعليق الفوري للعقوبات المفروضة عليها على أمل أن ترفع نهائياً بعد ثلاثة شهور.. إنما هو في المحصلة النهائية انتصار لليبيا وللشعب الليبي فقد كان واضحاً ومنذ بداية أزمة «لوكربي» بأن الموقف الأمريكي - البريطاني اعتمد أسلوب الإدانة السابقة على المحاكمة والمبنية فقط على الإشتباه والظن والتقدير السياسي للموضوع تحت حجة محاربة «الإرهاب» الدولي..؟!

وكما هو معروف فإن الإدارة الأمريكية تتعامل مع هذا الموضوع باستعمالها أسلوب إزدواجية المعايير وتكيل الأمور بمكيالين وذلك حسب رغباتها ومصالحها الضيقة وأهدافها في فرض هيمنتها على العالم وعلى الشعوب المقهورة وأكبر دليل على ذلك تعاميها وتغاضيها بشكل متعمد عما تقوم به إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني والأمة العربية بالإستيلاء على الأراضي العربية بالقوة وتعزيز وبناء المستوطنات في الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧م، وتهويد القدس وارتكاب المجازر واحتلال جنوب لبنان والجولان وضربها عرض الحائط بكل الأعراف والمواثيق الدولية وعدم تطبيق الإتفاقات مع الجانب الفلسطيني وعدم الإعتراف بحق الشعب الفلسطيني في العودة وتقرير المصير وإقامة دولته الوطنية المستقلة على أرضه.

وفي ذات الوقت تقوم الإدارة الأمريكية بضرب العراق بكل ترسانتها العسكرية بالتعاون مع حلفائها الغربيين وتعمل حالياً على تفتيت وحدة الأراضي العراقية من خلال فرض مناطق حظر جوي وخطوط عرض في الشمال والجنوب، ولاتزال تقوم بالقصف اليومي المستمر على الشعب العراقي الذي يعاني من الحصار والجوع والفقر والمرض لأكثر من ثمان سنوات دون أي مسوغ قانوني وتحت حجج وذرائع واهية.

ولايغيب عن الأذهان أيضاً ما قامت به الإدارة الأمريكية في العام الماضي بقصف مصنع الأدوية في السودان تحت حجة محاربة «الإرهاب» والأصولية الدينية؟!

وما الحرب المسعورة التي تقوم بها القوات الأطلسية الآن بزعامة أميركا في الإعتداء على يوغسلافيا وقصفها المستمر بالطائرات وبشتى أنواع الأسلحة المتطورة ومنذ ما يقارب الأسبوعين تحت حجة حماية سكان اقليمي كوسوفو من الإبادة العرقية. ما هي إلا بلطجة أميركية سافرة الهدف منها فرض هيمنتها على العالم وإضعاف وتفتيت الدول المستقلة وخلق الفتن والصراعات وبؤر التوتر في منطقة البلقان للسيطرة على منطقة شرق أوروبا بالقوة.

هذه هي باختصار جوهر وحقيقة السياسة الأمريكية سياسة الهيمنة والقوة والجبروت على الصعيد العالمي وبشكل خاص في منطقتنا العربية وهذا يثبت بما لايدع مجالاً للشك إزدواجية المعايير في السياسة الأمريكية إزاء شعوبنا العربية ومع أهمية ما وصلت إليه أزمة «لوكربي» من حل العقدة الأساسية فيها والتي هي بالتأكيد لمصلحة الشعب الليبي وفك الحصار المفروض عليه والذي كلف ليبيا خسائر كبيرة في كافة المجالات ■■

بيان الأمانة العامة لملتقى الحوار العربي الثوري الديمقراطي

عقدت الأمانة العامة لملتقى الحوار العربي الثوري الديمقراطي، دورة اجتماعها الثالثة في دمشق ١٨-١٩/٣/١٩٩٩ وإذ تتابع بمسؤولية واهتمام بالغين كل ما يجري على الساحة العربية، وما يتصل بالصراع العربي الصهيوني ومخططات العدو المحتل واستمراره بالعدوان والتهديد والتهويد والاستيطان، مدعوماً من الغرب الاستعماري وعلى رأسه الولايات المتحدة الأميركية، يقلقها حال الأمة العربية ومعاناتها والوهن والضعف والانقسام والصراعات، وخوف الجميع من أخطار تهدد الجميع، وتجذر المصالح القطرية الضيقة، وغياب الأفق القومي الرحب، مما يتيح للقوى الأجنبيةسهولة الهيمنة، وللكيان الصهيوني سهولة الاستمرار بالعدوان، مع يكاد يفقد العرب جميعاًإمكانية النهوض والتقدم؛ تعلن من دمشق عاصمة الصمود المبدئي:

أولاً- تمسكها بعروبة فلسطين كلها، وبالقدس عاصمة عربية ومدينة مقدسة للعرب: مسلمين ومسيحيين، وترفض تهويدها ومجاوزة الحقائق التاريخية والقرارات الدولية المتصلة بها، وتدين الممارسات الصهيونية ضد أهلها، وترحب بموقف الاتحاد الأوربي الأخير من القدس، وتدين مواقف الإدارة الأميركية وقرارات مجلسي الكونغرس المتعلقة بمناصرة الاحتلال والاستيطان وممارسة العدوان؛ وتعتبر ذلك عداءًسافراً موجهاً ضد العرب والمسلمين بشكل عام.

وتدعوإلى دعم كل أشكال المقاومة ضد الاحتلال الصهيوني، وإلى تعزيز مواقف أهلنا الواقعين تحت الاحتلال ودعم صمودهم؛ وترحب بانعقاد المؤتمر الوطني الفلسطيني لدعم الميثاق بدمشق وبالنتائج التي أسفر عنها، وتؤيد مواقف القوى الفلسطينية الرافضة لمسيرة الاستسلام والتفريط بحقوق الشعب الفلسطيني؛ وإدانة نهج أوسلو واتفاق واي بلانتيشن، والمتعاونين مع العدو الصهيوني.

ثانياً- إدانتها للعدوان الأميركي البريطاني الغاشم الذي وقع على العراق/١٧ كانون الأول/ ١٢/ ١٩٩٨/ وللقصف الأميركي - البريطاني المستمر، بوصفه عدواناً على الأمن القومي العربي، وهو يضاعف من معاناة الشعب في العراق، الذي يتعرض لحملة إبادة جراء الحصار المستمر منذ أكثر من ثمان سنوات. وتدعو إلى تطبيق القرارات المتخذة بحق الكيان الصهيوني وإلزامها بتطبيق المادة ١٤ من قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٦٨٧، وإلى رفع الحصار المفروض على العراق والجماهيرية والسودان.

كما تدعو جامعة الدول العربية إلى العمل على رفع الحصار فوراً ومن دون شروط، ووضع حد للقصف المستمر على العراق، وتؤكد حرصها على وحدة العراق أرضاً وشعباً ورفضها للتدخل في شؤونه الداخلية، وتحيي صموده، وتعلن ارتياحها لخطوات التقارب السورية العراقية.

ثالثاً- تنبه إلى مخاطر الأحلاف العدوانية والاستعمارية في المنطقة، التي تهدد الأمن العربي وتعزز المصالح الأجنبية على حساب حقوق الأمة العربية وأمنها ومصالحها ووحدة قواها وتماسك صفوف أبنائها؛ وعلى رأسها التحالف التركي الإسرائيلي المدعوم من الولايات المتحدة الأميركية، وتدعو إلى عمل عربي، رسمي وشعبي، يضع حداً لهذا النوع من التهديد الذي يستهدف الوطن والأمن العربيين.

رابعاً - تؤكد الأمانة العامة للملتقى مواقفها السابقة الداعية إلى رفع الحصار الظالم المفروض على الجماهيرية العربية الليبية، وتؤيد مطالبها العادلة والمشروعة التي أيدتها محكمة العدل المفروض على الجماهيرية.

خامساً - تدعو الأمانة العامة الدول العربية إلى تجسيد إرادة الجماهير العربية التي عبّرت عنها في أثناء العدوان الأميركي - البريطاني على العراق، وإلى تمثل رغبتها في تحقيق تضامن عربي قوي، وعملاً عربياً مشتركاً، لا سيما في المجال السياسي والاقتصادي، تحقيقاً للحد الأدنى من الأمن القومي العربي الشامل.

سادساً - تؤكد الأمانة العامة للملتقى على أهمية تنقية الأجواء العربية، وحل الخلافات الثنائية بين الأقطار، وتعزيز التفاهم والتعاون العربيين.

سابعاً - تدعو الأمانة العامة لإجلاء القوات الأجنبية من منطقة الخليج واعتبار بقائها تهديداً لأمن دول المنطقة خاصة وللأمن القومي العربي عامة.

ثامناً- تؤيد الأمانة العامة نضال أهلنا في الأراضي المحتلة وتدعو إلى دعمه بكل الوسائل والإمكانيات، بوصفه نضالاً وطنياًمشروعاً ومقدساً، صانته التشريعات والأعراف الدولية.

تاسعاً - تجدد الأمانة العامة تأكيدها على ضرورة تعزيز مناخ الحرية والممارسةالديمقراطية في الوطن العربي، وتدعو الجهات الرسمية العربية إلى تعزيز احترام الحقوق والحريات العامة للمواطنين.

عاشراً - تهيب الأمانة العامة بالأحزاب والتنظيمات والمنظمات العربية جميعاً وبالمناضلين في الساحات العربية، لبذل الجهد ومضاعفة الأداء المتميز لتعزيز المقاومة النوعية الرائعة ضد الاحتلال، وتعزيز مواقف الصمود بوجه المخططات الأميركية - الصهيونية، التي ترمي إلى إضعاف موقف سورية الصامدة بغية فرض الشروط الإسرائيلية عليها.

حادي عشر- تعبر الأمانة العامة عن اعتزازها وافتخارها بالإنجازات التي حققتها وتحققها المقاومة الباسلة في جنوب لبنان وتقدر عالياًجهود قوى المقاومة في سبيل دحر الاحتلال الصهيوني وهي إذ تؤكد على وحدة صفوف المقاومة الوطنية والإسلامية اللبنانية والفلسطينية تنوه بموقف سوريا الداعم والمساند لهذه المقاومة.

تحية لشهداء أمتنا العربية والخلود لهم.

تحية للمقاومة الباسلة ضد الاحتلال الصهيوني ولصمود أهلنا وأسرانا في معتقلات العدو الصهيوني، ولنضالهم في فلسطين المحتلة وجنوب لبنان وبقاعه الغربي والجولان العربي السوري. والنصر لأمتنا العربية.

الأمانة العامة
لملتقى الحوار العربي الثوري الديمقراطي
دمشق ١٩/٣/١٩٩٩.

حفل فني بمناسبة عيد الأم ويوم المرأة العالمي

بمناسبة عيد الأم ويوم المرأة العالمي اقام نادي الشهيد غسان كنفاني للأطفال في حلب حفلاً فنياً يوم ٢١/٣/١٩٩٩ حضره حشد كبير من الأمهات والفتيات والأطفال. حيث ألقيت في البداية كلمة المرأة والأم ألقتها الرفيقة وفاء الصالح تحدثت فيها عن دور المرأة ومكانتها وعن هذااليوم وتسمية هذااليوم كما تحدثت عن الأم بوصفها بانية الأجيال المناضلة الفاعلة المؤمنة بأهداف أمتها. وأشارت الرفيقة وفاء أن للمرأة الفلسطينية والعربية دوراً كبيراً في التحرر الوطني ومعارك الإستقلال لقد شاركت المرأة الفلسطينية في أول انتفاضات الشعب الفلسطيني منذ عام ١٨٨٢ ضد أول مستوطنة صهيونية بتاح تكفا قرب العفولة وضد وعد بلفور ١٩١٧ وفي ثورة البراق ١٩٢٩ وثورة ١٩٣٦ وقامت بأعمال قتالية ودفاعية وتوزيع البيانات والمناشير ونقل الأسلحة والطعام إلى الثوار في الجبال ومعالجة ونقل الجرحى كما شاركت في حرب ١٩٤٨ وهكذا إلى أيام الثورة الفلسطينية المعاصرة حيث تبلورت الحركة النسائية الفلسطينية عبر تشكيل الإتحاد العام النسائي الفلسطيني عام ١٩٦٥، إلى جانب تشكيل عدد من المنظمات النسائية الفلسطينية داخل فلسطين المحتلة وذلك في مطلع السبعينات تحت اسم لجان العمل النسائي الفلسطينية وخاضت معارك وطنية ضد الإحتلال ومعارك ديمقراطية للدفاع عن حقها في المشاركة إلى جانب الرجال في النضال الوطني وفي العمل والمساواة.. وسقط العديد من الشهيدات في ميدان المعركة مع الغزاة الصهاينة منهن الشهيدة شادية أبو غزالة ومنتهى حوراني ولينا النابلسي وتغريد البطمة ودلال المغربي وسناء محيدلي وحميدة الطاهر، وتوّجت مشاركة المرأة في القتال في اجتياح لبنان ١٩٨٢ والإنتفاضة الفلسطينية الباسلة حيث بلغت نسبة الشهيدات ٢٠٪ من شهداء الإنتفاضة وهناك عدد كبير من الأسيرات في سجون الإحتلال الصهيونية وبهذه المناسبة نوجه التحية للبطلة الفلسطينية سهيلة اندراوس المعتقلة والمحكومة لمدة ١٢ سنة في سجون ألمانيا.

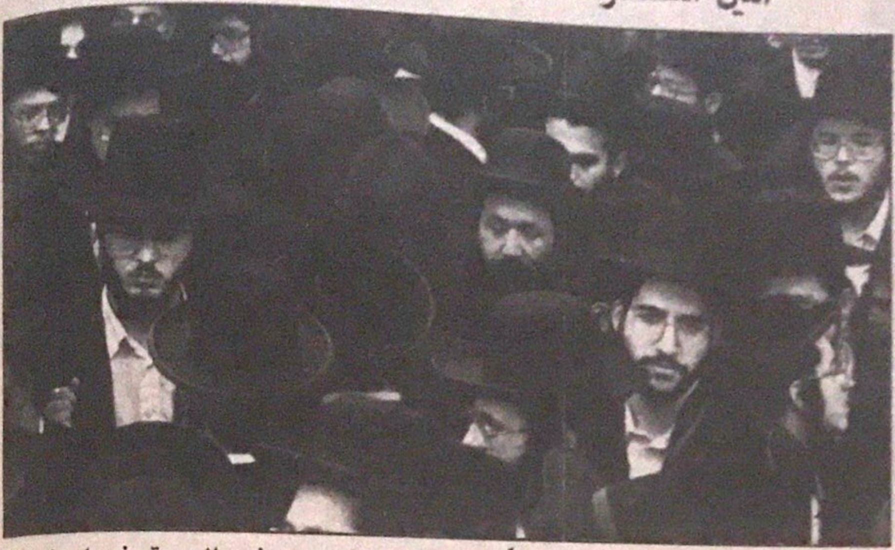
ثم ألقت الطفلة شذى القاضي كلمة أطفال النادي تحدثت بها عن الأم والمرأة وعن معاني هاتين المناسبتين العظيمتين ثم تطرقت إلى دور نادي الشهيد غسان كنفاني للأطفال وما يقدمه للأطفال وللقضية الوطنية من أجل بناء جيل وطني متسلح بالعلم والمعرفة مؤمن بقضيته محافظ على تراثه.

ثم قدمت فرقة النادي مجموعة من الرقصات والدبكات والأغاني الوطنية والخاصة بهاتين المناسبتين التي لاقت ترحيب وتشجيع الحضور ■■

قراءة في خطاب التطبيع

حلقة (٢)

أمين اسكندر*



٢ـ العولمة: تؤسس فكرة العولمة على ثلاثة أسس هم: السوق العالمية المندمجة ـ السوق المالية المندمجة ـ تكنولوجيا الإتصال، عن طريق تلك الأسس الثلاثة يتم إضعاف ثم نفي الدولة الوطنية وإلحاق الإقتصاد الوطني بالإقتصاد الإحتكاري وفرض قوانين وإجراءات يتم عن طريقها الهيمنة على السوق (مثل الجات وصناديق التمويل الدولية)، وفرض نمط ونماذج متعددة للإستهلاك عبر سياسة القتل المستخدمة في مواجهة الإنتاج الوطني والفرض الجبري لسياسات انفتاحية وغير حمائية للسلع الوطنية.

وهكذا استطاع الإقتصاد الراسمالي المركزي الهيمنة على محاولات التصنيع الإبتدائية في بلدان العالم الثالث عبر الإحتكارات التكنولوجية والمالية، وعبر وحدة السوق ووحدة رأس المال وتكنولوجيا الإتصال تم رسم ملامح لثقافة عالمية، في الحقيقة هي ثقافة واعلام الغرب المروج لنمط الحياة الغربي والذي يقدم الإنسان على أنه سلعة من ضمن السلع الأخرى وهو كائن شره للإستهلاك غرائزي السلوك وقد تواكبت تلك الثقافة العالمية مع الإستعمار دوماً وهي بالأساس غير جديرة بل وغير مهتمة بالحوار مع الثقافات الأخرى مثل ثقافة وحضارة الصين واليابان وجنوب شرق آسيا وافريقيا والهند وباكستان.. الخ وذلك بسبب غرضها في الهيمنة على الآخر موظفة في ذلك وسائل الإتصال العالمية والمواكبة لوحدة السوق ووحدة المال، ومن هنا تعمل تلك الثقافة المهيمنة على محو ثقافة الاخر من أجل سيادة نمطها القيمي والإعلامي.

ومن ذلك فلا نستطيع أن نقبل العولمة دون نقد فمما لاشك فيه هناك قرية كونية صغيرة تطلق على عالم اليوم لكن علينا أن نتمسك بالحوار الحضاري والإعتراف بالآخر ومقاومة الهيمنة ورفض الإستهلاكية الإنسان وعلينا أن ننتبه لأنه عن طريق تلك الفكرة ـ الإيديولوجية يتم اليوم استعمار آخر اي الغير غربي ـ وذلك عبر شبكة من التكنولوجيات الحديثة، وأخيراً فالعولمة تعني هيمنة جزء من العالم المتقدم على كل العالم بما فيه حضارات أخرى متقدمة مثل حضارة اليابان والحضارة الصينية والهندية والعربية والفارسية.. الخ لذا ليس غريباً أن تطرح مشاريع الشرق الأوسط والحوار العربي الأوروبي ومنتدى البحر المتوسط ـ كل ذلك يتم طرحه من قبل دول الشمال المتقدمة على دول الجنوب أو جزء منها ـ ومن هنا علينا أن لاننخدع بفكرة العولمة التي تعني حضارة الغرب المتقدم (الأمريكي ـ الأوروبي) والذي ساهم بشكل رئيسي في كافة مشاكلنا التي نعاني منها بدءاً من الإستعمار والتخلف وانتهاء بالكيان الصهيوني وهكذا فهناك فرق بين هيمنة حضارة تمثل جزءاً من العالم على العالم وبين حوار بين حضارات حقيقي ومن المؤكد أن العولمة هي الأولى بالرفض والمقاومة حتى لانقع أسرى الوهم منتجين الإستسلام للواقع كما وقع في ذلك كل من السادة الذين زاروا إسرائيل باحثين عن السلام، لكنه من المؤكد أنهم عادوا ومعهم سراب، ولقد شهد على ذلك عالم السياسة الأمريكي الشهير كارل براون عندما قال إنه «طوال القرنين الأخيرين، كان الشرق الأوسط واقعاً في شراك سياسات القوى الكبرى بطريقة متعاظمة وإحكام بالغ، اكثر من أي جزء آخر في العالم غير الغربي».

صحيح أن عالم اليوم تنتشر فيه الأخبار والمعلومات والأفكار وهناك صعوبة في اخفائها بفضل طرق الإتصال والتوصيل الإليكترونية الحديثة، وصحيح أيضاً أن هناك زيادة فائقة في التبادل التجاري بين الدول، حيث زاد الإنتاج العالمي بمعدل ٣,٤٪ سنوياً في المتوسط، فقد زادت تجارة العالم الخارجية بمعدل ٤٪ سنوياً حتى عام ١٩٨٠ وبعد ذلك حتى ١٩٩٢ فإن معدل التبادل التجاري العالمي قد زاد حتى وصل إلى ٤,٩٪ سنوياً بينما انخفض معدل الزيادة في الإنتاج العالمي إلى ٣٪ سنوياً.

إن الذين يحاولون تشبيه العالم بالقرية الصغيرة مستندين إلى وحدة السوق والمال وتكنولوجيا الإتصال يتناسون عن عمد ملامح أخرى وهي أن الغالبية العظمى من بلدان العالم الثالث قد فقدت اكثر من نصف قيمة صادراتها، لابسبب نقص الكميات التي تصدرها، ولكن بسبب التدهور غير المسبوق في اسعار تلك الصادرات والارتفاع المتزايد في اسعار الواردات التي تحصل عليها من الدول الصناعية، ذلك بالإضافة إلى أنه عام ٩٤-١٩٩٥ ارتفع اجمالي الديون المستحقة على الدول النامية بنحو ١١٪ ليصل إلى ١٨١٢ مليار دولار وارتفعت خدمة الدين إلى ٢٢٦ مليار دولار، وهو ما يعادل ٧,٢٪ من صادراتها باختصار نحن أمام عالمين وليس عالماً واحداً وأمام حضارات متعددة وليس حضارة واحدة وإن الحديث عن العولمة والقرية الكونية، هو حديث يأخذ الموضوعات من قشرتها وخطورته أنه يمهد طريق الهيمنة والتبعية

٣ ـ الآخر: في خطاب التطبيع نجد البعض يستخدم تعبير الآخر، والتعرف على الآخر والحوار مع الآخر. إذن لابد من تحديد ما المقصود بالآخر وهل ينطبق الآخر على إسرائيل؟

فعندما نتناول الآخر الغربي، فنحن نتحدث عن عصر آباء الكنيسة. تلك المرحلة الأولى من القرن الأول حتى القرن السابع وهو ما يطلق عليه بالعصر القديم وهي الفترة التي تكونت فيها العقيدة المسيحية ودونت فيها النصوص، وانفصلت فيها الكنيسة الشرقية عن الكنيسة الغربية في القرن الخامس وكان التيار السائد في تلك المرحلة هي الأفلاطونية كما مثلها أوغسطين.

أما المرحلة الثانية من القرن الثامن حتى القرن الرابع عشر والذي على مشارف في نهاية تلك الفترة ظهر الفكر العقلاني وبدأت أهمية التحليل اللغوي عند الإسميين وتأسست الجامعات وتم اكتشاف الأوسطية وانتهى هذا العصر بعصر الأحياء إيذاناً ببداية العصور الحديثة.

أما المرحلة الثالثة فهي تمتد من القرن الخامس عشر حتى الآن وما بعدها وهي مرحلة العصور الحديثة التي ظهر فيها الوعي الأوروبي. تلك المرحلة التي ظهرت فيها البنية الثلاثية للوعي الأوروبي العقلانية والتجريبية والطريق الثالث.

كان ذلك على مستوى المحطات الرئيسية في تبلور الآخر الحضاري الثقافي، وقد تلازم معه عصر البخار ثم الكهرباء ثم الطاقة النووية، فكان العصر الصناعي من بعد الزراعي والعصر ما بعد الصناعي (التكنولوجي) ولم تكن علاقة الأنا (الحضارة العربية - الإسلامية) بالآخر (الحضارة الغربية الأوروبية) في إطار التفاعل الصحي والإيجابي، حيث تعاملت تلك الحضارة في بعض من مراحلها المختلفة والحديثة عبر القهر والإستعمار والقوة والتفوق والعصرية مع حضارة الأنا.

وتجلى ذلك واضحاً في عملية زرع الكيان الصهيوني في فلسطين بكل تفاصيلها من البدايات حتى الآن ومن هنا فالآخر ينطبق على إسرائيل ذلك الكيان والتجمع الإستيطاني لأنه لم يعبر في يوم من الأيام عن تواصل مع حضارة الغرب بدليل التخلص منه، ولم يكن أيضاً شرعياً لحضارته حيث وقع الصدام بين اليهود والأوروبيين، واختار اليهود الإنعزال (الجيتو)، وقد فشلت كافة الحلول التي حاول الأوروبيون عن طريقها تحديث اليهود والعمل على دمجهم وتوفير كافة حقوق المواطنة لهم وكان ذلك في عصر التنوير - القرن الثامن عشر - ذلك العصر الذي برزت فيه مشكلة اليهود بشكل قوي في أوروبا، نتيجة لتغير الظروف والأوضاع الإقتصادية، وماترتب على ذلك من تغيرات جوهرية في بناء المجتمع الغربي، حيث بدا التناقض واضحاً واتسعت الفجوة بين الحياة المتخلفة لليهود وبين النظم الإجتماعية الإقتصادية الجديدة اللتين واكبتا بزوغ العصر الصناعي في قلب الثورة الرأسمالية لذا كان لابد من التطهير والتنقية وهكذا كتب علينا أن ندفع ثمن رغبة الغرب في تطهير نفسه وحماية مصالحه.

نخلص من ذلك أن الآخر الغربي لانستطيع أن ندمج معه الحركة الصهيونية.

ثم بعد ذلك هل الحركة الصهيونية تمثل آخر له سمات حضارية وذات ثقافية وفعل تاريخي متراكم بالطبع لا، فكيف نتحدث عن سمات حضارية واحدة وذات ثقافية وفعل تاريخي متراكم ونحن نجد أنفسنا أمام صهيوني يمني ومصري وعراقي وبولندي وأمريكي وفرنسي وأثيوبي وجنوب افريقي وهندي وإيراني.. إلخ حيث من المؤكد أن كلا منهم يحمل الذات الثقافية التي عاش بها في موقع ميلاد الجدود ويحملون أيضا سمات حضارية مختلفة بعيداً عن الصناعة التي تحدث لهم عند التجميع في إسرائيل - وأيضاً كيف يتسنى لنا الحديث عن فعل تاريخي متراكم ونحن نعلم جيداً أن هناك انقطاعاً هائلاً قد تم يقدر بحوالي ثلاثة عشر قرناً من فترة وجودهم قبيل ضرب أورشليم سنة 70 ميلادية حتى مجيئهم عبر وعد بلفور، لذا صدق عليهم قول اليهودي «عند بنسكر»: «ضيف في كل مكان» و«ليس في وطنه في أي مكان».

أما إذا كان المقصود بالآخر الأيديولوجية الصهيونية، فلا بد إننا نعلم أنها ايديولوجية الإحتلال والطرد والترحيل والتفوق العنصري والتوسع المستمر والإستيطان والإستعمار الإقتلاعي وحقن الأطفال العرب بالإيدز إذن عن أي آخر نتحدث؟

٤ - الواقعية: السيد أحمد فؤاد في كتابه «إسرائيل ذلك المجهول» يطالبنا بالواقعية والإعتراف بالدولة والوجود الصهيوني، حيث لم يعد وارداً عدم الإعتراف بعدما اعترف العالم كله. وهنا نتوقف لكي نتفهم سوياً معنى الواقعية، ثم بعد ذلك نتناول مفهوم الإعتراف بالدولة والوجود الواقعية عند أهل التطبيع تعني التسليم بما هو قائم، فإسرائيل لايمكن أن تهزم وفلسطين لايمكن أن تعود، والحقيقة أن ذلك لا يعني عدم حق أي شعب في مقاومة المحتل، حيث يمتلك المحتل قوة أكثر ويعبر دائماً عن حالة اقتصادية وسياسية وعسكرية افضل، وبالتالي فلا كان يحق لديجول أن يقاوم ولا شعب فيتنام ولا روسيا في الحرب الثانية.. الخ.

فتلك هي الهزيمة من الداخل التي تؤدي إلى الوقوعية كما سماها كلوفيس مقصود. لكن الغريب أيضاً أن هؤلاء الواقعيين بمفهوم الوقوعية لم يسألوا أنفسهم لماذا لاتكون إسرائيل واقعية هي أيضاً. وكيف لم يتساءلوا لكي يتفهموا تلك الحالة المؤسسة على مجموعة من أساطير قبل الميلاد تأتي لكي تسكن قلب أحداث القرن العشرين. أين الواقعية في ذلك؟

ثم تأتي بعد ذلك للحديث عن الإعتراف بالدولة والوجود، وهنا لابد أن نعترف جميعاً أن العالم قد اعترف بإسرائيل لكن هناك فرق بين الإعتراف بدولة إسرائيل وبين الإعتراف بوجود إسرائيل، حيث الإعتراف بوجود إسرائيل هو أمر واقع، لكن الإعتراف بدولة إسرائيل يعني الإعتراف بالإقليم المعين والشعب المعين وسلطة سيادة الشعب على الإقليم - حسب القانون الدولي - يعني اعتراف من جانبنا نحن العرب بمشروعية دولة إسرائيل (الأرض - الشعب - السيادة) وبالتالي بمشروعية المشروع الصهيوني واحتلاله لفلسطين.

● المعرفة: ذلك هو الغرض المشترك بين كافة الزائرين لإسرائيل والمؤلفين لكتب عن تلك الزيارات، وفي البدء لا أحد يستطيع أن ينفي حق المعرفة أولاً، ولا اهمية المعرفة ثانياً، ولابد أيضاً أن نعترف بأن هناك تقصيراً في معرفة العدو منذ أن بدأ الصراع وبالذات في مرحلة التسوية تلك. بعد أن اعتقد البعض ان المعرفة غير ضرورية طالما نتحدث عن سلام، وفي الحقيقة ان هؤلاء لم يعرفوا العدو لافي الحرب ولا في السلام المزعوم!

ولابد أن نعطي الحق لأصحابه، فقد تأسست مجموعة من مراكز الأبحاث مثل [مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام - مؤسسة الدراسات الفلسطينية - مؤسسة الأرض - دار الجليل - مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية - مركز الفالوجا للدراسات والنشر.. الخ] وقد ساهمت تلك المراكز والمؤسسات في معرفة العدو معرفة علمية - رغم إن بعضها أغلق أبوابه وبعضها يعاني أشد المعاناة - وذلك بالإضافة إلى أن هناك بعض الباحثين الذين وهبوا حياتهم لمعرفة العدو مثل [د. حسن ظاظا - د. عبد الوهاب المسيري - د. أنيس صايغ - د. بيان نويهض - د. محمد عبد الرؤوف سليم.. الخ].

وقد انطلقت تلك المؤسسات وهؤلاء الأفراد من أهمية معرفة العدو، معرفة علمية رصينة وجادة دون الإتصال بالعدو ودون الذهاب إليه، حيث أن الحصول على المعرفة لها مصادر متعددة ومختلفة وليس شرطاً الإتصال بالعدو والإنتقال إليه من أجل الحصول على المعرفة، رغم أن ذلك وظيفة أجهزة الإستخبارات أو بالأحرى أحد وظائفها. لكن على المثقف دائماً أن لايخلط بين وظيفة جهاز الإستخبارات ووظيفته كمثقف. بالإضافة إلى أننا نعبر الآن عصر المعلومات وأدوات الإتصال التكنولوجي الموجودة لدى كافة المؤسسات البحثية وعند بعض الأفراد أيضاً وعن طريق ذلك من الممكن الحصول على المعرفة، وعلى مدار التاريخ البشري وبالذات على جانب المعرفة، كان من الطبيعي أن يتم تناول أحداثه الكبرى والصغرى عبر وسائط متعددة لمعرفة المعلومة ولنقل المعرفة دون الإحتكاك المباشر. فكيف يتسنى لباحث أن يكتب عن الحرب الصليبية أو الحرب الأولى والثانية أو عن حرب فيتنام أو حرب ١٩٤٨.. الخ - من المؤكد انه لن ينتقل لكي يعيش تلك المعارك التي رحلت - المقصود أنه ليس شرطاً للمعرفة أن نذهب لكي نعايش عدونا وبالذات عندما تكون الأمة مجمعة على رفض التطبيع والعلاقات الطبيعية مع العدو. لكن ما حدث بعد أوسلو ١-٢ تجرأ البعض وتعدى على المحرمات تحت زعم تقديم المعرفة عن قرب، وجاء لنا بالدعاية والترويج والإعلان عن إسرائيل والفتيات الجميلات ونظافة الشوارع، وقدم لنا الصهاينة في صورهم النبيلة، وكأن غيرهم هو الذي احتل الأرض وطرد الأهل وحقن الأطفال بالإيدز (حسبما ذكرت جريدة يديعوت أحرونوت).

وقد استخدم هؤلاء المروجون أساليب متعددة منها الفج المباشر ومنها الغير مباشر عبر المقارنة بين أوضاع أوطان عربية وأوضاع إسرائيل.

فها هو السيد علي سالم يذكر في الصفحة العاشرة من كتابه «رحلة إلى إسرائيل» دعايته المباشرة وغير المباشرة قائلاً: «.. اتصلت بمنفذ رفح.. هناك مبلغ ستدفعه تأميناً للسيارة - كم؟ - عدة مئات من الدولارات في الغالب يعقوب فهم خطأ المبلغ المطلوب، اتضح أنه أقل من مائة دولار، لا استطيع وصف القنصلية بالفخامة، ولكن أول انطباع كان سرعة الإيقاع، لقد غاب عني يعقوب عشر دقائق فقط كان كافية لإعداد التأشيرة وإرسال ورقة للسفير داخل الإجتماع وتلقى الرد عليها بالإضافة للإتصال تليفونياً بنقطة الحدود في رفح وإجراء مكالمة سريعة مهم الإجراء

الوحيد المطلوب من الجانب المصري لخروج السيارة من الحدود المصرية هو الحصول على الإستمارة ١٢٦ من إدارة الجمارك. وهي استمارة تكتب بها كل تفاصيل السيارة، مع كتابة تعهد بأن تعود بالسيارة مرة أخرى أو تصبح مطالباً بدفع ثمنها للحكومة المصرية. وثمن سيارتي كما حددته الجمارك هو ١٧ ألف جنيه.

سيارتي اشتريتها بحر مالي، ولقد حصلت الحكومة المصرية الجمارك المفروضة عليها. هي سيارتي مثل بنطلوني وحذائي وساعتي من حقي أن أذهب بها للجحيم وأن أفعل بها ما أشاء..لا.. إنها جزء من الثروة القومية لمصر. هو إجراء متبق من الحكم الشمولي الذي يرى الأشياء والبشر جزءاً من الثروة القومية للحكومة..»

«نزلت إلى شوارع المدينة، كل شواطئ العالم تكاد تكون متشابهة، ولكنهم هنا في نتانيا حرصوا على إضافة إبداع البشر إلى إبداع الطبيعة».

«أهلاً يا جابي.. وجهك مألوف لدي.. هل رأيتك من قبل؟ ـ في الغالب شاهدتني في ندوة نجيب محفوظ.. أو كافتريا الأوديون.. أو مع لينين الرملي.. أنا أقوم الآن بترجمة مسرحيته «سعدون المجنون» إلى اللغة العبرية..»

«جابي يجيد الحديث بالعامية المصرية، بل يعرف كل أسرارها.. يذكرك بالمصريين في أفضل حالاتهم». «حتى الآن لم أشاهد سيارة فخمة مثل الشبح أو البودرة أو حتى الزلمكه، مع أن الطرق تصلح للسيارات التي بحجم السفن، أنا أعرف أنهم سيخفون عني أشياء كثيرة، ولكن كيف تمكنت المخابرات الإسرائيلية من إخفاء هذه السيارات أو إبعادها عن طريقي؟ أو أنهم لايركبون هذه السيارات أصلاً لأنهم بخلاء؟ أو لأنهم يخشون الحسد؟»

«عندما غادرت الفندق قالت لي مريم: أستاذ علي، أنا حزينة جداً لأن صاحب الفندق ليس هنا.. هو يحب مصر جداً، طبعاً نحن جميعاً نحب مصر، ولكنك لاتتخيل حبه لها..»

«ترى ماذا كانت الهتافات التي كان يرددها عبد الله؟ (يهودي عراقي) زعيم نقابي ـ ترك العراق وذهب إلى إسرائيل وسمى أوقاديا رابي) وما هي الشعارات التي كان يقضي الليل ساهراً يكتبها على قطع القماش».

فلسطين عربية.. تسقط الصهيونية

وذات يوم، أو بمعنى أصح ذات مظاهرة، تنحنح وسلك حنجرته استعداداً للهتاف الشهير تسقط الصهيونية، ففوجئ بهتاف آخر ينطلق من خلفه وكأنه صيحة القدر: الموت لليهود هذه الصيحة من بغداد ليست دعاية، هي تعني معناها حرفياً.

في تلك اللحظة الكاشفة اكتشف عبد الله، أن عبد الله ربيع العربي العراقي البغدادي هو نفسه عبد الله ربيع اليهودي.. فسافر إلى إسرائيل.

«ضم حفل العشاء في منزل فاروق مجموعة كبيرة من الخارجية الإسرائيلية بالإضافة إلى عدة شخصيات أكاديمية من «حركة السلام الآن» وجراح كبير كان أسيراً في حرب ١٩٧٣ وقام بإجراء عمليات جراحية لعدد من الجنود المصريين».

«عوفر عضو في جماعة تعمل من أجل السلام أعضاؤها عرب ويهود. وزميله في السكن شاب عربي اسمه صابر وأسرة عوفر تقيم في حيفا من مئات السنين، أنا أعتقد أن هدوءه ورباطة جأشه ناتجان من عمق إحساسه بأن له جذوراً عميقة في هذه الأرض تماماً مثل العرب لذلك هو لايخشاهم، هذه أرضهم، هو وزملاؤه المسلمون والمسيحيون، حتى لو حدث مكروه عليه أن يتقبله كما يتقبل القضاء والقدر، عليه أن يدفع تكلفة دفاعه عن السلام حتى ولو كانت طعنة سكين» «ليذهب التاريخ بكل مواقعه وأماكنه إلى الجحيم».

تلك بعضاً من انسجة شبكات العنكبوت التي يريد لها علي سالم أن تلتف حول عقول الناس، فليذهب التاريخ إلى الجحيم من أجل الإنسان!! وتناسى أن التاريخ هو الفعل الإنساني في أوضح صوره، وأن التاريخ هو السجل الحافظ للبشرية فعل الخير وفعل الشر معاً، وهو الحافظ لنا أفعال هولاكو وهتلر وموسوليني وبن جوريون وبيريز وبيجن ونتنياهو وماتم ارتكابه من دمار بالأرض والإنسان معاً.

سبيكة من التزييف والتزويف والدعاية الفجة، حتى وصل به الأمر أن يؤكد لنا أن عبد الله اليهودي خرج راحلاً على إسرائيل خوفاً من قتله على ايدي العرب ـ رغم نضاله من أجل إسقاط الصهيونية!!

ولم يكن علي سالم هو فقط الذي يستخدم تلك الشبكة من الأضاليل، فها هو أحمد فؤاد يذكر في كتابه «إسرائيل ذلك المجهول» «بدأ الطريق ضيقاً تحيطه حقول الفاكهة على الجانبين ثم بدأ في الإتساع وأخذ المطر في الهطول بغزارة، واتضح أنهم اعتادوا على ذلك ومستعدون له، فلم تتجمع المياه وتغلق الطريق كما توقعت».

«الأتوبيس مكيف، المقاعد وثيرة، الأتوبيس يماثل أتوبيسات السياحة عندنا. ياله من نظام جيد».

«جميلة إلى حد كبير بشعرها الأشقر وبشرتها البيضاء وعينيها الخضراوين.. ضحكت يا عيل كطفلة وأبدت ترحابها الشديد بي ودعتني لزياراتها في منزلها».

«هناك أغنية إسرائيلية تتغنى بأسماء نجوم كرة القدم في العالم ضمت اسماء مجدي عبد الغني وحسام حسن وشوبير».

أما السيد محمد مصطفى في كتابه «هكذا رأيت إسرائيل» يقول: «استقبلنا الجنرال السابق «ابراشا» وجهه لايبتسم.. كان ابراشا أول إسرائيلي التقي به في حياتي وبيته المتواضع هو أول بيت يهودي أدخله.. سألتني زوجته في أدب ورقة عن المشروب الذي أفضله.. وتسألني عن مصر وتحكي عن ذكريات زيارتها واعجابها برقة المصريين، بينما رحت أتأمل تل أبيب من هذا المكان العالي.. لاشك أنها مدينة جميلة، البنايات شاهقة ولونها أبيض يعانق الأشجار والنباتات منتشرة في كل مكان، الزحام يغلب على شوارعها.. زحام سيارات وبشر.. لكن المرور شديد النظام» «كان ابراشا يتحدث بصوت عال جداً وعصبي.. أما ما كان يصلني من ترجمة لطفي عليوه.. كلمات ناعمة تحمل منطقاً سوياً».

«ابتسمت الحسناء ـ الضابطة ـ وانفرجت أساريرها وأنزلت الرشاش وقالت بدلال: عجبتك إسرائيل؟ ـ نظرت إلى عينيها وقلت جداً».

يتكشف لنا من بعض تلك النماذج الهزيمة الداخلية التي يعاني منها هؤلاء المطبعون، فهم يتحدثون عن أشياء بسيطة موجودة في أماكن كثيرة من بلاد العرب من الشواطئ حتى النظافة إلا أنهم يشعرون أمام الأعداء بالنقص والدونية، ذلك بالإضافة إلى ترويجهم للصهاينة كنموذج للإنسان المحب والسالم وكأن الذي قتل العرب الفلسطينيين في الحرم الإبراهيمي لم يكن صهيونياً ولا الليكود وحزب العمل الموقعين على وثيقة القواسم المشتركة بينهم لتصورهم عن التسوية ومساراتها دون التنازل عن القدس والجولان وعدم قيام الدولة الفلسطينية وعدم عودة اللاجئين.. الخ لم يكونوا صهاينة، والذي قام بالعدوان على أطفال وأهالي قانا في لبنان لم يكن صهيونياً وفي الغالب سوف يكون عربياً عند علي سالم!!

إذن تلك هي المعرفة عند هؤلاء الزائرين لإسرائيل والداعين إليها، مجرد دعاية ممزوجة بمجموعة من الأخطاء الشائعة والمغرضة بهدف الترويج للتعايش الطبيعي بيننا وبين العدو رغم علمهم اليقين ان حقوقنا لم ترجع لنا وإننا مستهدفون كل يوم من قبلهم.

٦اليمين واليسار الإسرائيلي: تتسم معايير تصنيف الأحزاب السياسية الإسرائيلية من يمين إلى يسار بخصوصية تختلف عن المتعارف عليها في العلوم السياسية، إذ أن تصنيف الأحزاب السياسية في إسرائيل يستند إلى معيارين:

أولهما: الموقف من قضية الأرض والشعب الفلسطيني وبناء على هذا المعيار يبدأ اليمين الإسرائيلي من رفض التنازل عن الأراضي الفلسطينية المحتلة، مؤكداً على أنها تدخل في إطار ما يسمى «أرض إسرائيل الكبرى» ويتراوح الموقف من الشعب الفلسطيني بين منحه «الإدارة الذاتية» في إطار السيادة الإسرائيلية وبين دعاوى الطرد والتهجير (الترانسفير) والإبادة الجماعية أما اليسار فيتراوح موقفه من الأرض الفلسطينية بين إعادة أجزاء منها في إطار «الأرض مقابل السلام» دون السماح بإقامة دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة، وإنما من الممكن أن تكون في إطار اتحاد كونفيدرالي مع الأردن ـ وبين إعادة الأراضي المحتلة بعد ١٩٦٧ والسماح بإقامة دولة فلسطينية.

ثانيهما: الموقف من علاقة الدين بالدولة ويتراوح موقف اليمين بين عدم فصل الدين عن الدولة وتطبيق المبادئ العامة للشريعة اليهودية دون الوصول إلى الدولة الدينية، وبين تطبيق كامل لمبادئ الشريعة اليهودية على المجتمع وصولاً إلى الدولة الدينية كما تأمل الأحزاب الدينية، أما اليسار فيتراوح موقفه ما بين فصل

الدين عن الدولة وعدم المساس بعلمانية المجتمع مع التأكيد على أهمية الجانب الديني في حياة المجتمع وإمكانية التعامل مع الأحزاب الدينية والإستجابة لبعض مطالبها التي لاتمس علمانية المجتمع، وبين رفض أي صلة بين الدولة والدين ورفض التعامل مع الأحزاب الدينية (أقصى اليسار).

ويهمنا هنا أن نرصد اتساع تعبير اليسار واليمين ومحاولة التفرقة بينهما، وقد ساعد في هذا الإنتشار عدة عوامل:

١ـ النظرية الزائفة التي عمل على ترويجها الصهاينة وسط المعسكر الإشتراكي (سابقاً) وحركات التحرر في عالمنا الثالث في الخمسينات والستينات عن نموذج التنمية الإشتراكي في إسرائيل عبر الهستدروت والكيبوتس.

٢ـ الهزائم المتتالية لجيوش الأنظمة العربية والتي كانت سبباً في اعتقاد البعض بأن انتصارات إسرائيل تعود إلى تقدم نظامها الإجتماعي وليس إلى الدعم الأمريكي الأوروبي لها.

٣ـ قبول معظم الأحزاب الشيوعية العربية لقرار التقسيم عام ١٩٤٧ مما رتب عليه محاولة البحث عن تناقضات داخل هذا الكيان من أجل إعطاء شرعية لقبول التقسيم فضلاً عن وقوع تلك الأحزاب إسر الخطط الأمريكية ـ الأوروبية للبحث عن تسويات في شأن الصراع.

٤ـ العلاقة المتشابكة بين الإشتراكية الدولية ومن قبلها الأممية الدولية بما يسمى اليسار الصهيوني.

ولذلك ليس غريباً أن يكون معظم الداعين للحوار والتطبيع والواقعيين أسرى لخطاب التطبيع من بعض الفصائل الماركسية والشيوعية.

وهنا لابد من طرح سؤال عن حركة اليمين واليسار داخل إسرائيل وهل يصح أن نعتمد تصنيفهم الداخلي ـ الذي تناولنا تفصيلاً ـ للقياس به على قضايانا؟ أم أن اليمين واليسار يجب أن نحدده نحن من منطلق الموقف من قضايانا وأجندة أعمالنا؟

فعلى سبيل المثال ما هو موقف ما يطلق عليه اليسار الإسرائيلي بكافة تنويعاته من القدس وحق العودة والدولة الفلسطينية ذات السيادة وعودة كل الأرض الفلسطينية لأصحابها ونزع المستوطنات. عند ذلك سوف تتبين المواقف بوضوح ولايحدث هذا الخلط، ويكفي أن نؤكد ذلك من خلال برامج ما يطلق عليه اليسار الإسرائيلي في انتخابات الكنيست الرابعة عشرة الأخيرة.

برنامج الليكود:

ـ إن حق الشعب اليهودي في أرض إسرائيل هو حق أبدي، غير قابل للنزاع، ويتضمن الحق في الأمن والسلام.

ـ الأمن هو أساس السلام الدائم في منطقتنا، وسوف تجعل إسرائيل من الأمن الشرط الأول في أي اتفاق للسلام.

ـ ستمكن حكومة إسرائيل الفلسطينيين من إدارة حياتهم بحرية، في إطار الحكم الذاتي. ولكن الشؤون الخارجية، والدفاع، والمسائل التي تتطلب التنسيق، سوف تبقى مسؤولية دولة إسرائيل، وسوف تعارض الحكومة إقامة أية دولة فلسطينية مستقلة.

ـ إن جيش الدفاع الإسرائيلي وقوات الأمن الإسرائيلية الأخرى ستتمتع بحرية حركة كاملة في كل مكان مما يستدعي الوضع، وذلك في تفاهم ضد الإرهاب.

ـ سوف تبقى المناطق الأمنية الحيوية للدفاع عن إسرائيل والمستوطنات اليهودية تحت السيادة الإسرائيلية الكاملة.

ـ ستحتفظ إسرائيل بمصادر مياهها الحيوية في «يهودا والسامرة» ولن يكون هناك إنتهاك في استخدام لمصادر مياهها.

ـ القدس الموحدة غير المنقسمة هي عاصمة دولة إسرائيل، والنشاطات التي تقوض وضع القدس سوف يتم حظرها، وبالتالي فإن منظمة التحرير الفلسطينية ومؤسسات السلطة الفلسطينية في المدينة، بما فيها بيت الشرق سيتم غلقها.

برنامج حزب العمل:

ـ قدس موحدة، هي عاصمة إسرائيل بمقتضى القانون الإسرائيلي.

ـ سيشكل نهر الأردن الحدود الأمنية الشرقية لإسرائيل ولن يكون هناك جيش آخر في الغرب (نفس البند في برنامج الليكود).

ـ السيادة على وادي الأردن، شمال غرب منطقة البحر الميت وكتلة عيتسون والمناطق الهامة بالنسبة لأمن إسرائيل.

ـ تسوية مشكلة اللاجئين الفلسطينيين خارج حدود إسرائيل، ورفض حق العودة.

ـ فرض القانون الإسرائيلي على معظم المستوطنين الإسرائيليين ولن تقام أي مستوطنات جديدة.

برنامج حركة ميرتس:

ـ القدس عاصمة إسرائيل لن تقسم مرة أخرى.

ـ ميرتس تعارض بشكل لا لبس فيه سياسة الإستيطان في المناطق، ويجب على إسرائيل أن تسعى إلى فك المستوطنات الصغيرة المعزولة، حتى أثناء المفاوضات الحالية حول اتفاق سلام دائم فالإعتبارات الأساسية التي تقرر حدود الدولة يجب أن تتركز على وظائف الأمن والديمغرافيا.

ـ رغم موقف سوريا المتشدد فإن السلام معها له أهمية استراتيجية.. وبالتالي فإن مقابل سلام كامل مع سوريا، سلام يعتمد على ترتيبات أمنية متشددة.. وترتيبات الأمن يجب أن تكون شاملة ومتنوعة وتقوم على نزع السلاح وخفض واسع للقوات وآليات للرقابة وضمانات دولية.

يتبين لنا من خلال برنامج الليكود اليميني وبرنامج العمل (الوسط) وبرنامج ميرتس اليساري أن هناك اتفاقاً كاملاً بشأن أمن إسرائيل عبر كافة الإجراءات الضامنة لذلك من نزع سلاح أراض عربية وخفض للجيوش العربية والتسليح وإدخال تعديلات على حدود ١٩٦٧ وفرض آليات للرقابة، وتبين لنا الإتفاق على أن القدس العاصمة الموحدة لإسرائيل بالإضافة إلى الموقف من المستوطنات فهناك اتفاق على المبدأ والخلاف حول التفاصيل من كل السيادة على كل المستوطنات إلى السيادة على بعض المستوطنات الهامة والأمنية. وتبين لنا أيضاً الإتفاق بشأن حق العودة وعدم الإعتراف به من قبل الجميع من يمين إلى يسار.

وهكذا سوف نجد انفسنا أمام الإتجاهين الشهيرين المستمرين مع الحركة الصهيونية منذ نشأتها الإتجاه الذي يؤمن بالتوسع الإقليمي عسكرياً والذي جسده وأصبح رمزاً له جابوتنسكي والإتجاه الثاني الذي ينادي بالتوسع عن طريق السيطرة الإقتصادية وتزعمه حاييم انحروف وناحوم جولدمان.

ومن هنا فالرهان على تغيير الكيان الصهيوني من الداخل هو رهان خاسر لإن كل هذا التجمع من يمينه إلى يساره ومن علمانية إلى دينية هو تجمع صهيوني عنصري وهو كيان استيطاني محتل لأرضنا في فلسطين وهو امتداد استعماري في المنطقة.

لذلك سوف تظل جوهر قضايا الصراع العربي الإسرائيلي هي:

١ـ احتلال الأرض العربية.

٢ـ أيديولوجيا الصهيونية العنصرية.

٣ـ العلاقة العضوية بين الصهيونية العنصرية في إسرائيل والإستعمار العالمي.

٤ـ التناقض الجذري بين مشروع التحرر والتنمية والوحدة العربية وبين المشروع الإستعماري الإستيطاني الصهيوني.

ولم يكتفِ خطاب التطبيع باستخدام تلك الترسانة من مفردات الأيديولوجية الجديدة المُسيدة تحت مزاعم السلام وإنما حاول البعض من حاملي ومروجي ذلك الخطاب الإنطلاق من فكرة التوظيف المتبادل من جانبنا لإسرائيل مع السماح لإسرائيل بتوظيفنا وليكن ذلك بمنظور المستقبل. وقد تناسى هؤلاء أن التوظيف المتبادل لايتم إلا عبر ميزان قوى متكافئ يسمح بإتمامه أما في حالتنا فمن المؤكد أن ميزان القوى ليس في صالحنا بل في صالح إسرائيل ومن هنا سوف يصبح التوظيف المتبادل هو توظيف من جانب إسرائيل لنا وذلك بحكم السلاح النووي وترسانة الأسلحة التقليدية والعلاقات الإستراتيجية الإسرائيلية الأمريكية.

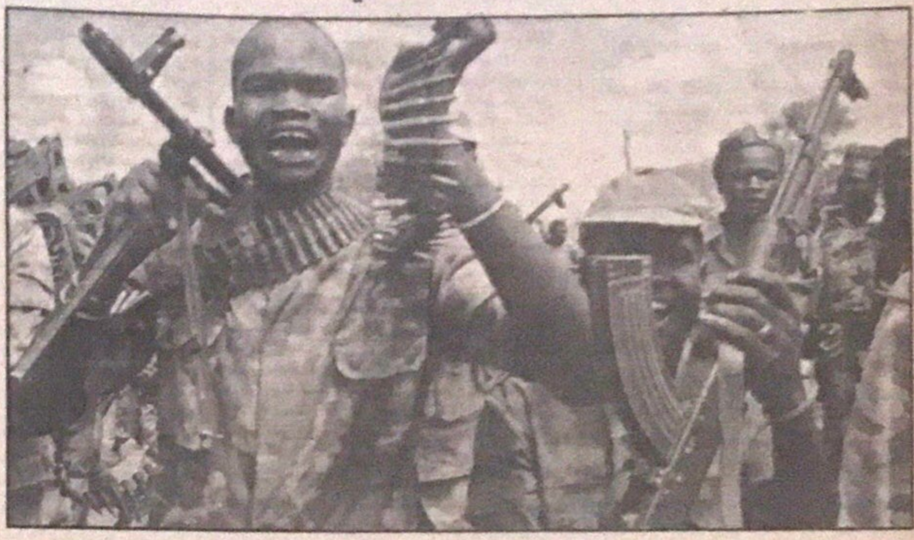
وأخيراً هذه هي محاولة لمناقشة هادئة مع خطاب التطبيع وأيديولوجيا السلام الزائف لعلها تنير مساحات الضباب التي أحدثها ذلك الخطاب في ذهن البعض ■■

(*) باحث مصري في الفكر السياسي وقضايا الصراع العربي الاسرائيلي.

الحرب الأرترية ـ الأثيوبية

وانعكاساتها على الأمن العربي

حسن العاصي



فيما يوشك القرن العشرين على نهايته، يبدو أن القارة الأفريقية لم تستفد بشكل جيد من معظم منجزاته في حقل الحرية والتطور، بل يبدو أن الفقر وانعدام التقدم والصراعات المسلحة، سمات بارزة لهذه القارة.

فالقتال المتجدد بين القوات الأرترية والقوات الأثيوبية منذ بداية شباط الماضي، بعد توقف استمر نحو ثمانية أشهر وشهد هدوءاً نسبياً، ثم فجرته قذائف الطرفان اللذان يخوضان صراعاً منذ أيار العام الماضي، من أجل ترسيم الحدود بينهما خصوصاً في منطقة «تيفري»، لايعدو كونه أحد صور الصراعات المتتالية والتي تشكل هواجس أمنية لدى دول منطقة القرن الأفريقي، بهدف تعزيز وجودها على البحر الأحمر.

والحرب الأرترية ـ الأثيوبية الأولى والتي انتهت عام ١٩٩١ بعد ثلاثين عاماً من المعارك الضارية، وتحررت عقبها أرتيريا واستقلت رسمياً عن أثيوبيا عام ١٩٩٣، عادت للإشتعال مرة أخرى إثر خلاف حدودي على أرض صخرية نائية لايصلها سوى الرعاة من المناطق الحدودية في البلدين، وهي على شكل مثلث لاتزيد مساحته عن ٤٠٠كم، وكان يمكن حل هذا الخلاف بالوسائل الديبلوماسية كما حصل مع جزيرة حنيش على سبيل المثال. وما يؤلم في هذا الأمر أن هذه المناطق المتنازع عليها بالذات، كانت فيما مضى ملتقى للثوار الأرتيريين مع الثوار الأثيوبيين. لكن جذور الخلافات بين الطرفين تعود في أحد جوانبها إلى فترة ما قبل التحرير والتي شهدت سعي الجبهة الشعبية التيغرانية بقيادة زيناوي إلى ربط إقليم «عفر» بإقليم «دنكاليا» الذي يطل على البحر الأحمر، وميناء عصب الإستراتيجي ومن ثم منح «العفر» في الإقليمين حكماً ذاتياً، ولدى تحرير أرتيريا وتولي زيناوي السلطة في أديس أبابا فإن الزعيم التقراني سيضمن لأثيوبيا منفذاً على البحر الأحمر من خلال العفر الموالين له، لكن «افورقي» افشل هذا المخطط فسادت بين الثورتين أجواء عدم الثقة التي استمرت إلى فترة ما بعد تحرير العاصمتين، وجاءت التجربة بعد ذلك لتظهر أن جراح حرب الثلاثين عاماً لم تندمل بعد، بل أخذت تتعمق مع بداية هذه الحرب، وتبخرت بذلك كل الآمال التي كانت معقودة على الزعيمين لتحويل منطقة القرن الأفريقي من بؤرة للنزاعات والحروب إلى واحة أمان.

وهنا يبدو السؤال ذو سمة ملحة، هل كانت إسرائيل بعيدة عن كل مايجري؟ بالطبع لا، فمنذ أن رفضت أرتيريا الإنضمام إلى جامعة الدول العربية كانت تستهدف توثيق العلاقة مع إسرائيل، ولهذه العلاقة امتداداتها الطبيعية في صراعات الدول المحيطة بالبحر الأحمر، فقد كان البحر الأحمر باستمرار موضوعاً للصراع الدولي في المنطقة، وكان العرب طرفاً أساسيا في هذا الصراع بحكم تواجدهم الجغرافي. ثم برزت إسرائيل لتكون شريكاً في الصراع من خلال تعاونها مع اثيوبيا ـ عبر ارتيريا ـ للقيام بعملية اختراق خلفية، أما الشعب الأرتيري الذي رفض هذه العلاقة، أطلق منذ ذلك الحين ثورته التي دعمها العرب بأشكال متعددة، مما أدى إلى توتر مستمر في العلاقات العربية ـ الأثيوبية، بينما كانت إسرائيل باستمرار طرفاً داعماً لأثيوبيا ضد أرتيريا.

لكن حصل بعد ذلك ما يدعو للأسف، إذ بعد انهيار الإتحاد السوفيتي وقبول القيادة الأرتيرية بأن تكون جزءاً من النظام العالمي الجديد، تمت الموافقة الغربية على منحها الإستقلال ضمن شروط ثلاثة، أولها أن تحافظ على علاقة وثيقة مع اثيوبيا وأن تفتح أمامها موانئ البحر الأحمر، والثاني أن تواصل الحفاظ على تقاليد الصداقة التي قامت بين أثيوبيا وإسرائيل، وأخيراً أن لاتنضم إلى جامعة الدول العربية، وبذلك نجحت إسرائيل في احتواء أرتيريا وثورتها، بينما وقف العرب يتفرجون.

وفي الجانب الآخر تبدو الصورة أشد قتامة، فاثيوبيا في نظر تل أبيب هي الدولة الوحيدة غير العربية التي لها شواطئ على البحر الأحمر الذي ازدادت أهميته الإستراتيجية بعد حرب الخليج التي كشفت أهمية الترابط بين منطقة الخليج العربي والبحر الأحمر الذي يحتل موقعاً اقليمياً ودولياً هاماً، ليس باعتباره ممراً مائياً حيوياً، ولا بسبب موقفه الجغرافي فحسب، بل أيضاً بسبب موقعه في سياسات واستراتيجيات الدول المشاطئة له، فإذا كانت منابع النفط تتركز في الخليج فإن البحر الأحمر يشكل حلقة رئيسية في منطقة خطوط المواصلات التي تنقل هذا النفط.

ومن هنا يتضح حرص إسرائيل الشديد أن لايكون البحر الأحمر بحيرة عربية، وهي تشترك بذلك مع أديس أبابا. وتبدو أطماع إسرائيل أبعد من ذلك، إذ يمكن لإسرائيل من خلال وجودها في أثيوبيا أن تدعم حركة التمرد في جنوب السودان دون الدخول في خضم هذا الصراع، وبذلك تكون كمن يضرب عصفورين بحجر واحد، فتجد من وراء ذلك مدخلاً إلى مناجم الذهب وحقول النفط في جنوب السودان، كما يمكنها أيضاً أن تتحكم ـ وهذا هو الأهم ـ في منابع النيل فتكون كالقابض على أنفاس مصر والسودان معاً.

أخيراً، فإن المنطق يدعو إلى ضرورة وقف العمليات الحربية بين الطرفين، واللجوء إلى لغة الحوار لفض النزعات الحدودية لأنهما وشعبيهما الخاسران الوحيدان، وإسرائيل هي المستفيد الأكبر ونامل أن لاتزداد حرب الأشقاء ـ الأعداء ضراوة فتاتي على الأخضر واليابس.

وينبغي الإشارة إلى أن الأمة العربية أهدرت فرصاً ثمينة بعدم التفاتها إلى القارة الأفريقية، فعالمنا العربي تلزمه مراجعة صريحة واعية لكل علاقاته بافريقيا، إذ ينبغي أن لانكون بعيدين أو مغيبين عن دائرة بلورة مستقبل هذه القارة، خاصة بعد الصراع العلني بين أمريكا وفرنسا لبسط نفوذهما على القارة السمراء، ومواجهة النفوذ الإسرائيلي المتزايد الذي يشكل إسفيناً في العلاقات العربية ـ الأفريقية ■■

قضايا ثقافية



تحية للزميلة "السفير" في يوبيلها الفضي

معاً على الطريق

ربما متاخرٌ بعض الشيء، ان نمد يدنا الآن لمصافحة الزميلة «السفير» مهنئين بيوبيلها الفضي الذي احتُفل به في ٢٦ آذار/ مارس المنصرم، لكن ان تاتي متاخراً افضل من ان لاتاتي أبداً، خاصة إذا كان التاخير بفعل بعض مواجعنا، وليس تقصيراً منا تجاه زميلة لها المساحة الأوسع في عمق وجداننا، وتلافيف ذاكرتنا.. تلك الذاكرة الحية، المشتركة، المتوهجة، الحافلة على مدار ربع قرن من الأحداث بحلوها ومرها، بتالقها وإنكساراتها، بحقائقها وأوهامها..

كانت السفير بالنسبة لنا، وماتزال سفيرة العرب في لبنان، وسفيرة لبنان في قلوبنا، وصوتنا، «صوت الذين لاصوت لهم»، يجدون على صفحاتها فسحة للحوار الحر، ومساحةً للبوح، ومنبراً لقول الراي الجريء المختلف، والمعاكس للتيار.

ومن الطبيعي في هذا السياق أن تكون فلسطين في موضع القلب ضمن اهتمامات «السفير» العربية، رغم التغيرات التي طرأت على منظورها وأساليب معالجتها لهذه القضية، وبالتالي التغيرات التي طرأت على فكرها السياسي الذي تبلور ونضج في اتون الصراع، ولهيب المواجهات، حيث انتقلت القضية الفلسطينية بمنظورها من مجرد قضية قومية تمتزج بالهم الوطني اللبناني، وتندغم فيه إلى درجة غياب الحدود الفاصلة بين الهمين القومي والوطني، إلى مرحلة أخرى اخذت فيها مسافة، راحت تنظر من خلالها بعين نقدية تتوخى سياسة فلسطينية صائبة، كي تستقيم بالتالي السياسة الوطنية اللبنانية في اتجاهها الصائب ايضاً، إلى مرحلة ثالثة، لعبت فيها دور الشاهد الذي يستنهض الهمم، ويحرضِ على تقويم الطريق.. وفي كل المراحل كانت «السفير» منبراً وطنياً، اشعاعياً، مستنيراً يبحث عن الحقيقة، ويحاول ان يعكسها بنزاهة عالية، ومثل كل كائن حي، قد يخطئ أحياناً، وقد يصيب احياناً اخرى، لكنه كان في كل حالاته الشاهد الأمين، المستقل بصوته، والنقي بضميره والمتجدد المواكب باستمرار لتطورات العصر وقضاياه وتقنياته.

ولعل الندوة التي اقيمت على هامش الإحتفال باليوبيل الفضي هي أكبر دليل على ما ذهبنا إليه، فالأسئلة الكبرى التي طرحتها هذه الندوة حول الديمقراطية، وحرية الصحافة، وحرية الحياة، وارتباط الديمقراطية بالتحرير وضرورة إطلاق حريات الإنسان العربي لمواجهة تحديات العولمة وانهيار الحدود بين الدول هي القيم التي ستظل هاجس «السفير» وقضاياها الكبرى، الدائمة، التي ستدافع عنها بنبالة·في زمن اللانبالة وانعدام القيم.



الهدف الثقافي

الرسائل الجديدة لاخوان الصفا

رسالة إلى ريتشارد بتلر

عبد الرحمن منيف

المستر ريتشارد بتلر

يقول شكسبير على لسان ريتشارد الثالث:

إذا كان الله ضدي وضميري وهذه الموانع

وأنا بلا صديق يدعم مطلبي

إلا الشيطان وحده والنظرات المرائية

... فالعالم كله لاشيء

هكذا يقول شكسبير، يا مستر ريتشارد بتلر، ولأعترف منذ البداية إن حتى المرحبا زائدة عليك، لأنك بالإضافة إلى الصفات التي تميزك كالكذب والحيلة والصفاقة والنزق، وهذه صفات يؤكدها الصحفيون الذين التقوك، ونشرتها الصحافة الغربية، فإن وضعك الحالي لايتيح مجالاً للحوار، أو حتى توجيه الأسئلة، إذ انك منهمك الآن في البحث عن عمل جديد، لأن حزيران على الأبواب، وعقدك مع الأمم المتحدة سينتهي، وتصبح بالتالي «عاطلاً» إذا لم تتقدم إحدى الإدارات التي تعاملت معها سابقاً لتأمين عمل يتناسب وكفاءاتك وماضيك!

ثم إن الكتابة إليك، خاصة في هذا الظرف، لاتستلزم الإجابة لأنك لو أجبت سوف تضيف لأكاذيبك السابقة أكاذيب جديدة، وقد ترفقها بكم من التهديدات، لأنك لم تستوعب بعد أنه تم عزلك، ولم تعد هناك حاجة لخدماتك، حتى من ذوي نعمتك: الأمريكان.

لهذه الأسباب، وأخرى كثيرة أيضاً، نعفيك من الجواب، ونترك لك أن تدوّن كل ما تشاء في مذكراتك، ونقترح عليك أن يكون عنوان المذكرات: أنا أكذب إذن أنا قوي بدل: أنا أعترف أو مذكرات سياسي ساقط، لأن الكذب في هذه الأيام، ومن قبل المسؤولين بالذات، أحد عناصر الترويج وبالتالي الوصول فالتأثير، وأنت في هذا المجال لايُشق لك غبار، تعرف جيداً كيف تكذب ليس فقط على أعوانك ومساعديك، بل وعلى الدول الكبرى أيضاً، ولعل آخر مثل على ذلك ما قلته للمسؤولين الروس في زيارتك الأخيرة لموسكو قبل عملية ثعلب الصحراء بأيام قليلة.

إذا وجدت أنك لست مؤهلاً للكتابة، لسبب ما مثل عدم الكفاءة، أو بحكم حالة الهيجان المصاب بها الآن، وربما الشعور بالخيبة، يمكن أن تستعين بذلك الكاتب المحترف والمجرب الذي دوّن سيرتين لاقتا رواجاً واسعاً، اندرو مارتون، إذ لاتزال أصداء ما كتبه لمونيكا في كتابها الأول، وربما الأخير، تدوّي في أركان الأرض الأربعة. يمكن أن تستعين بهذا الكاتب الضليع، وسوف يكتشف العالم نجماً جديداً، وقد يغري هذا النجم هوليود، وربما تعرض عليك دوراً، خاصة وأن الهيئة التي تميز شخصك المتألق ترشحك لأكثر من دور، وتحديداً في مجال الأدوار البوليسية، لأن الشكل المستهتر، وذلك المعطف المطري، ثم تسريحة الشعر غير المعتنى بها، تجعلك البديل الأنسب للمحقق كولومبو، وتجعل المخرجين يلتفتون ويتوقفون أمام هذه الشخصية التي تناسب السينما تماماً!

قد تكون الإهتمامات السياسية هي التي طغت على مسيرتك منذ البداية، وبالتالي يصعب تغيير المهنة، خاصة وأن الطموحات في الإرتقاء ضمن هذا السلك ميزت هذه المسيرة منذ البداية، إذ بعد أن زادت الرغبة للتخلص من وجودك في أستراليا ذاتها، بُعث بك إلى الأمم المتحدة في نيويورك. لعل اللجاجة التي أظهرتها، أو ظهرت عليك في كانبيرا، قد تؤهل بلدك الوصول إلى عضو في مجلس الأمن، لكن نتيجة الصخب وقلة التبصر، وذلك الطموح الشخصي الطاغي حرم بلدك من أن يكون ذلك العضو، وهنا تم التقاطك وبطريقة غامضة، لكي تتولى رئاسة اللجنة الخاصة لنزع أسلحة الدمار الشامل للعراق. لقد وافقت على رئاسة هذه اللجنة لكي تكون رصيداً لك، لأن النية كانت متجهة لإنشاء جهاز دولي دائم يتولى نزع أسلحة دول لايُرغب أن تمتلك سلاحاً قد يهدد مصالح أمريكا!

مستر ريتشارد بتلر

في ذاكرة العرب، وفي ذاكرة الكثيرين أيضاً، أن أستراليا قارة في أقصى المعمورة، وأنها حديثة الإكتشاف، مقارنة بالقارات الأخرى، وأن ناسها مهاجرون من أماكن عديدة، فإن العمل والدأب من أبرز ما يميز سكان هذه القارة، خاصة وأن الإمبراطورية البريطانية العتيدة تولت الشؤون السياسية، وكفت الناس هموم وعبء المشاكل. لكن أول ما يتبادر إلى ذهن العربي المعاصر، ان «وجه القباحة» الذي حاولت بريطانيا وشركاؤها في أزمة السويس عام ١٩٥٦ أن تتستر وراءه في تقديم العصا والجزرة لعبد الناصر، كان رئيس وزراء أستراليا منزيس. لقد تقدم ذلك الشهم بالمطالب والإنذار، ولأن الظرف خلال تلك الفترة كان موائياً، لم يتردد عبد الناصر في طرد حامل الإنذار، ثم وقعت الأحداث التي يتذكرها الكثيرون.

كاد الناس ينسون منزيس، وربما معه أستراليا، ليس استهانة، وإنما لأن الأول في غياهب التاريخ، ولأن استراليا بعيدة جداً، ولاتُذكر إلا لماماً، خاصة حين يجري الحديث عن الطقس!

ومثلما فعلت بريطانيا وفرنسا في استعمال القفاز الأسترالي أثناء أزمة قناة السويس، وجدت أمريكا قفازها في شخصك الكريم! وإذا كان منزيس حمل إنذار سادته ثم توارى، بعد أن طرده عبد الناصر، فإن النسخة الأسترالية الجديدة لديها من الطموح والنزعة «المستقبلية» ما جعلها تندفع بلا حدود، وان تظهر من التفاني والبراعة ما يرغم السادة الجدد على الاستفادة منها لأمد طويل. وانت باندفاع الثور، لم تتوان في التدقيق والتمحيص ووضع الشروط والعراقيل لكي تحوّل عملك المحدود والمؤقت إلى عمل دائم، إلى أن وقعت عملية ثعلب الصحراء.

لايراد هنا يا مستر بتلر التطرق إلى حديثي النعمة، ومدى حقدهم على ذوي الأمجاد والتاريخ، ولكن ماذا نستطيع أن نفعل إزاء الحضارات الراسخة، والوقائع التي تفقأ العين؟ فإن يكون العراق أول، أو من أوائل، المستوطنات البشرية، ليس ذلك ذنبه أو سبة له لكي يُعاقب عليها. وأن تكون استراليا آخر القارات التي يتم اكتشافها وفقط قبل بضع مئات من السنين، فإن الذنب يعود إلى تلك السفن القديمة التي أخّرت الوصول إلى هناك. أما أن يحقد المتأخرون على المتقدمين إلى هذه الدرجة، وأن يحاول المتأخرون صناعة التاريخ أو اختراعه، وحين يعجزون لابد من تهديم القديم، الآخر، فإن الذاكرة البشرية لاتزال تحفظ وترى وقادرة على التمييز، وبالتالي لابد من وقفة طويلة لتفسير الحقد والعسف ورغبة الإنتقام!

هل جئت يا مستر بتلر، لكي تثأر لمنزيس؟ هل جئت لتسرق التاريخ أو لتدمره؟ وهل الحقد يصل إلى هذه الدرجة من الخسة والإنحطاط،

بحيث تلوي الحقائق وتغير الوقائع وتبدع الحجج من أجل الإنتقام؟

يدعي الغربيون على المستوى الفردي أنهم لايعرفون وبالتالي لايقرون الكذب في العلاقات، ويعتبرون الصدق والشفافية وتحمل المسؤولية من مقومات الحضارة الغربية، كما يأخذون على الشرقيين لجوئهم إلى عدم قول الحقيقة، أو أنهم ليسوا صريحين بالمقدار الكافي.

هذه إحدى المقولات التي يرددها الغربيون على المستوى الفردي، وهم ينظرون إلى الشرقيين أو حين يتعاملون معهم، لكن ماذا عن الكذب الجماعي الذي تمارسه الدول والمؤسسات، وعلى هذا المستوى الواسع والمنظم والمبرمج، وكنت أنت المثل البارز على ذلك، وقد تفوقت بمراحل على سلفك، طيب الذكر رالف اكيوس، الذي أخلى لك الموقع ليكون سفيراً للسويد في واشنطن؟

إذا تركنا الكثير من الوقائع، وتوقفنا في محطات قليلة، أثناء رئاستك للجنة نزع الأسلحة، فماذا نجد؟

في شباط ١٩٩٨ اخترعت أزمة القصور الرئاسية، وأكدت أن لديك من الأدلة الدامغة ما يثبت أن تلك القصور تحولت إلى مخازن تتكدس فيها أسلحة الدمار الشامل، وبعد الكثير من المعاناة ورغبة الإذلال جاء كوفي عنان وتم الوصول إلى اتفاق لتفتيش القصور، ولم يعثر فيها على شيء، وبدل أن تعترف بهذه الحقيقة، إذا لم نقل أن تعتذر، صمت، وبدأت تحك قذالك أو تبحث تحت أظافرك، كمايقال، من أجل اختراع قصة جديدة.

يقول ريتر، زميل المهنة الأمريكي، وعميل المخابرات المركزية، إنه تمت ٣٠٠ زيارة للمواقع المشتبه بها ليس بهدف البحث عن الأسلحة وإنما للإستفزاز والإهانة.. وأيضاً لوضع اجهزة التنصت، وبمعرفة رئيس اللجنة ريتشارد بتلر!

وفي تشرين تفتعل أزمة جديدة، البحث عن وثيقة ضائعة، ومن اجل العثور عليها تفتش حقائب أساتذة الجامعة، تداهم بعض الوزارات وحين لاتعثر عليها، يأتيك الطيف في المنام أن تلك الوثيقة، او ربما الأسلحة، موجودة في أحد مقرات الحزب، وتبدأ أزمة جديدة. تذهب إلى موسكو لتؤكد للمسؤولين هناك أن العراق متعاون، وأن مهمتك تكاد تبلغ نهايتها، وترفع في نفس الوقت تقريراً إلى كلينتون، قبل أن ترفعه إلى مجلس الأمن، حول عدم التزام العراق بالتعاون، وفي الطائرة الرئاسية التي تقل الرئيس الأمريكي عائدة به إلى واشنطن من رحلة إلى الشرق الأوسط، يتخذ قراره بقصف العراق تحت تسمية موفقة جداً: ثعلب الصحراء، والتي تعني أكثر من معنى وأكثر من شخص.

وزير خارجية روسيا، وأنت تبحث معه جهودك ومهماتك، يقول أنك خدعته وطلب من عنان عزلك، يقول: «اريد أن أقول لك بصراحة أن ريتشارد بتلر لايستطيع أن يبقى في منصبه لأسباب مهنية أو لأسباب أخلاقية».

حتى ريتر الفتي لم يخف صفته، لم يرق له سلوكك يا مستر بتلر، واضطر للإستقالة، وقال الكثير عن لجنة نزع السلاح وعن المهمات التي كنت تقوم بها، والدور المكلف به.

وأنت يا مستر بتلر، لاتزال صامداً معانداً، وقليل الإكتراث لما يعنيه وفاة ستة آلاف طفل عراقي شهرياً نتيجة الحرمان من الدواء، وتقول بصلف وبعد ان انكشف دورك، إنك لن تستقيل!

طبيعي أن من يتقاضى راتباً شهرياً مقداره ١٦٥ الف دولار، عدا المهمات والبخشيش لايفكر بالإستقالة ولايفكر بما يلحق الآخر.

ان الصواريخ التي القيت على العراق في عام ١٩٩١ تعادل سبعة قنابل من تلك التي القيت على هيروشيما.

وان عدد من صواريخ كروز التي القيت في ثعلب الصحراء ٤١٥ صاروخاً، وهذا الرقم يفوق ما ألقي عام ١٩٩١.

يتبادر إلى البال سؤال ساذج: هل لديك اطفال يا مستر بتلر؟ وهل نظرات أعينهم، حين تكون حزينة وخائفة؟ تختلف عن نظرات الأطفال الآخرين.. أترك لك ان تجيب.

دنيس هواليدي، مسؤول برنامج الأمم المتحدة الإنساني، بعد أن رأى ما يجري في العراق لم يطق صبراً، كما لم يرغب أن يستمر في اللعبة ـ المهزلة، استقال بشجاعة، واخذ يدور في جميع انحاء العالم ليقول ما رأى، أتعرفه يا مستر بتلر؟ وما هو الفرق بين الإنسان و..

بعد حزيران، بعد أن تصبح عاطلاً عن العمل، وحين تخلو إلى نفسك، يمكن أن تقرأ، او تعيد قراءة، شكسبير، خاصة ريتشارد الثاني وريتشارد الثالث وقد يكون لك في ذلك درس.

يقول شكسبير، على لسان ريتشارد الثالث: «لاشيء سوى أن تقرأ هذه التهم، وهذه الجرائم النكراء التي اقترفتها انت وتابعوك (..) لكي تدرك أرواح الناس باعترافك بها انك عن حق عزلت».

أما الليدي آن، في المسرحية ذاتها، فتقول لرينشارد: «رغم أني أتمنى موتك/ لن أكون انا جلادتك».

وسوف تدهش مستر بتلر، حولَ مدى التشابه بينك وبين سميك القديم، يقول شكسبير:

«وكل قصة تنطلق باني شرير
الخيانة، الخيانة في ابشع صورها
والقتل، والقتل الا يتم في أقسى الوانه
جرائم مختلفة في صور متعددة
تزدحم كلها في ساحة القضاء وتصيح: مذنب.. مذنب
ليس لي إلا الياس، فما من احد يحبني
وإذا مت فلن ياسى أحد لموتي
أجل ولِمَ ياسون؟
وأنا نفسي لا آسى لنفسي
لقد خيّل إلي ان أرواح الذين قتلتهم جميعاً
جاءت إلى خيمتي
وتوعد كل بالإنتقام
ينصب غداً على راس ريتشارد!»

إذا كنا قد بدأنا هذه الرسالة بشكسبير، وتحديداً مسرحية ريتشارد الثالث، فيقول عبد القادر القط في تقديم هذه المسرحية «إذا كنا نتعاطف مع شخصيات شكسبير فيما يصيبها من مآس في مسرحياته الأخرى، فإننا لانحس باي عطف مع ريتشارد الثالث في هذه المسرحية، ذلك لأن المؤلف قد صوره نموذجاً كاملاً للشر، نتتبع مصيره وكانه نتيجة لسلوكه وطبيعة شخصيته».

يقول ريتشارد الثالث في نهاية المسرحية: «إن الضمير ليس إلا كلمة يتداولها الجبناء».

مستر ريتشارد بتلر
ربما الختام كالبداية، ما يردده ريتشارد الثالث:
أنا الذي تنبحه الكلاب إذا وقف عليها
لما تراه من بالغ عجزه وغراب هيئته
اما انا فلا اجد في هذا الوقت
وقت السلم الذي تخفت فيه الأصوات
وترق، شيئاً من المتعة أتسلى به
إلا أن اخالس النظر إلى ظلي في ضوء الشمس
واتغنى بخلقتي الشائبة
فلاكن إذن شريراً
مادمت لا أصلح للحب

مستر ريتشارد بتلر: اكتب، اعترف، قل ماذا صنعت يداك، لعلك تجد عزاء، أو شيئاً من راحة الضمير.. مع الشك أنت ستفعل لأنك في الخطيئة ولدت وإلى الخطيئة ستمضي، متمنياً لك شيخوخة غير ثقيلة! ■■

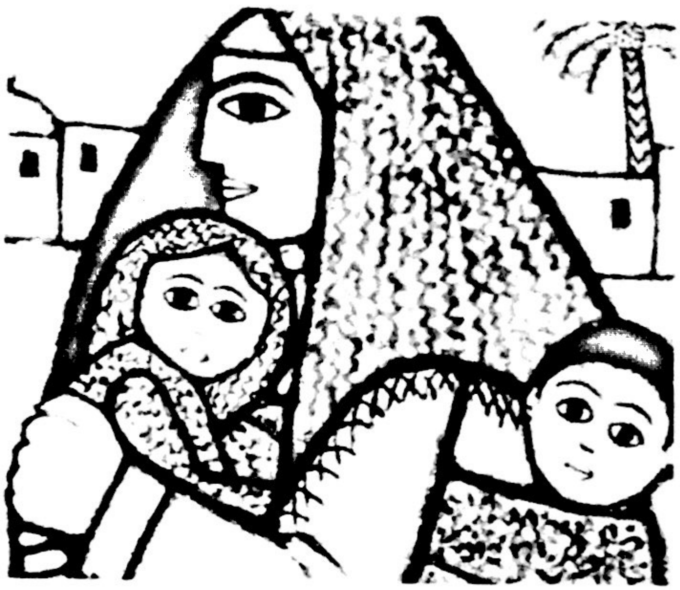
هل يستحم النهر - حقاً - في البحيرة؟

سيد البحراوي*

منذ حوالي ثلاثة عشر عاماً قرأت قصة ليحيى يخلف بعنوان «المرأة الوردة»، وكانت أول ما قرأت له. ومنذ ذلك الحين وأنا أنتظر كتابته بشغف، لأن تلك القصة قالت ان هذا الكاتب قادر على أن يدرك جوهر الحياة (في مواجهة الموت) وخصوصيتها الفلسطينية بعمق وشفافية، وأن يصور هذا الجوهر مجسداً في لغة تقترب من درامية وصفها من اللوحة التشكيلية بل هي كذلك.

تابعت روايات يحيى يخلف بعد ذلك، ولكن في ظل جو من التوتر الذي شاب العلاقة بيني وبينه على المستوى الفكري، وعلي أن أعترف أن اختلافي إزاء مواقفه في اتحاد الكتاب أو في قضية السلام وموقف المثقفين المصريين من زيارة أراضي الحكم الذاتي، تلك القضايا التي دارت بشأنها حوارات حادة بيننا عدة مرات، قد تركت أثراً على قراءتي لأعماله، حتى وقعت في يدي أخيراً روايته الأخيرة «نهر يستحم في البحيرة». (دار الشروق، عمان ١٩٩٧) وأعادتني إلى يحيى يخلف وأعادته إليّ.

تكمن أهمية رواية «نهر يستحم في البحيرة»، في أنها تتخذ من «العودة إلى الوطن» موضوعاً لها، وهو بالطبع موضوع شديد الأهمية والحساسية وخاصة لواحد مثل يحيى يخلف، على كافة المستويات السياسية والفنية والإنسانية أيضاً. فأن يعود الإنسان ـ الفنان، إلى وطنه بعد ربع قرن من الزمان، وبعد صراع الأمل مع اليأس في إمكانية العودة والنضال من أجلها، ثم «تحققها»، لهي تجربة ثرية ومليئة بالإمكانيات الفنية العالية، وبالمخاطر أيضاً، لأنها مادة مليئة بالميلودراما والسنتمنتالية. ومن هنا تأتي الأهمية الأكبر للرواية، لأن الكاتب نجح نجاحاً باهراً في السيطرة على هذه المادة، حين لم يستسلم للمذكرات أو اليوميات او السيرة الذاتية، وإنما حوّلها جميعاً إلى عناصر روائية وبنى بها وبغيرها من العناصر بنية روائية دقيقة ومحكمة، جميلة ودالة.



تبدأ الرواية بما يشبه السيرة الذاتية، فبعد المشهد الأول القصير، الذي يبدو مشهداً روائياً، يأتي المشهد الثاني، عن العودة:

«ها هو الوطن، لحم ودم، ولكنه مثخن بالجراح.. مرت فوقه الزوابع فدمرت كل شيء ما عدا الناس.. عندما عبرت الجسر، وشاهدت أرض الوطن، امتلأت عيناي بالدموع، دخلت من معبر الجسر ولم أدخل من معبر رفح.. دخلت من على الجسر الخشبي..

اشار لنا جندي أسود، لعله من الفلاشا الاثيوبية فعبرنا الحاجز، لنصل على الفور إلى الحاجز الفلسطيني الذي يحاذي مزرعة العلمي، والذي ترفرف فوقه الأعلام، ترفرف مثلما يرفرف في أعماقي طائر الشباب.. طائر الشباب الذي تركني منذ سبعة وعشرين عاماً، عند تلة الماصيون في رام الله، ولم يرافقني إلى بلاد الغربة». (ص٦-٧).

بعد ذلك يعود النص إلى الرواية من المشهد الثالث، يستمر مزاوجاً بين السيرة الذاتية والرواية حتى النهاية، ولكن مع هيمنة البنية الروائية المحكمة والتي صنعتها شخوص بشرية من لحم ودم يمثل وجودها ومسعاها حياة إنسانية وطموحات ترقى لحد أن تكون رموزاً، وعبر أحداث متتابعة تقود هذه الشخوص إلى اكتشاف الحقيقة في النهاية، رغم أنها لاتحقق آمالها المباشرة التي كانت تسعى إليها.

الراوي هو أكثر الشخصيات وجوداً في النص، وتشير كثير من الدلائل كما سيتضح فيما بعد ـ أنه قريب جداً من الكاتب. ومع ذلك، فإن هذا الراوي (الذي لم يعد راوياً عليماً بكل شيء كما في بعض روايات يحيى السابقة)، ليس هو أهم شخصيات الرواية، بل لعل أهم شخصية ليست من الشخصيات الحية التي تتحرك على أرض الواقع، مع أهمية هذه الشخصية (مجد وأكرم)، وإنما شخصية تبدو خيالية صنعها المؤلف لكنه صنعها على نحو يجعلها أكثر الشخصيات واقعية وحيوية، تلك هي شخصية الجندي الياباني (أونودو) «الذي كان ضابطاً في الجيش الياباني أثناء الحرب العالمية الثانية.. إنه لايصدق أن الحرب قد انتهت، لذلك فإنه لم يلق السلاح بعد» ص٩.

لقد نجح الكاتب حين خلق هذه الشخصية ذات الملامح الواقعية (أقصد أنها يمكن أن تكون قد وجدت في الواقع فعلا)، في أن يجسد تمزقاته وصراعه الداخلي تجسيداً موضوعيا، بحيث يمكننا القول أن هذه الشخصيات هي التي تحمل منذ البداية، وحتى النهاية منظور الكاتب.

لقد تطورت شخصية (أونودو) مع تطور أحداث الرواية فهو الذي ظل سنوات طويلة لم يعرف أن الحرب قد انتهت وأن اليابان قد هزمت، وظل رافعاً ـ وحده ـ السلاح في جزيرة معزولة، ينتبه إليه قائده ـ بعد وقت ـ ويذهب إليه ليخبره بما حدث ويأمره بإلقاء السلاح، لكنه يرفض أن يترك الجزيرة ويعود إلى الحياة، ويأخذ في التأقلم مع الطبيعة وكائناتها الحية، لكنهم أعادوه بالقوة إلى المدينة، فوجد نفسه غريباً عن ناطحات السحاب، غريباً عن عالم الكمبيوتر وسيارات التويوتا والقطارات السريعة في أنفاق المترو.

«عاد كما عاد أهل الكهف، فأصابه الإكتئاب، وسقط في بئر القلق» (ص٤٨-٤٩)، ولذلك كان على العالم أن يبحث له عن مخرج وأن يُعالج كي يتكيف مع الواقع الجديد، وكان الحل هو «المشاركة في إحدى الدورات التي تقام في مناطق الحكم الذاتي الفلسطيني

يستطيع التكيف والإندماج» (ص ٥٢). غير أنه من الواضح أن هذا الحل الذي اقترحه الراوي لم يصلح للعلاج، مثلما فشلت الحلول الأخرى المطروحة على الشخصيات الأخرى في الرواية - كما سنرى. ومن هنا يتمرد أونودو على الراوي ويقفز.. من الدفتر.. يركض نحو دغل من الأشجار وهو يحمل بارودته العتيقة، أركض وراءه وأنادي: انتظرني انتظرني..

يواصل الجري، وأنا أركض خلفه، يصعد تلة، وأصعد وراءه، يدوس الشوك والأسلاك الشائكة، وأدوس خلفه، يصعد ويصعد..

ثم يجد أمامه مغارة، يدخل إلى المغارة، أركض خلفه، وأحاول أن أدخل وراءه، ولكن رأسي يصطدم بباب المغارة، فأسقط على الأرض» (ص١٤٢).

وحين يستيقظ الراوي «كان خيط من الدم يسيل من جبيني.. كانت ثيابي ممزقة، وكانت الأشواك تتعلق بكتفي وعلى رؤوس أصابعي» (ص١٤٢).

لقد كانت شخصية «أونودو» محاولة من الراوي لكي يتكيف مع الواقع الجديد، لأنه منذ بداية عودته إلى الأرض كان يتوهم أنه سوف يعود إلى قريته التي طرد منها هو وأهله قبل خمسين عاماً (راجع رواية يحيى يخلف «بحيرة وراء الريح» دار الآداب - بيروت ١٩٩١ الجزء الأول) ولذلك طلب من صديقته «مجد» أن تعد له رحلة إلى بحيرة طبرية ليزور قريته سمخ وليزور قبر خاله عبد الكريم (راجع أيضاً «بحيرة وراء الريح») هذا الذي عاد بعد الهجرة عندما أدمى الرحيل أقدامه، أضنته الغربة، عاد إلى سمخ ليموت بجانب أنقاض (دار الأمان)، فعل كما تفعل الغزلان إذ تنتحي مكاناً قصياً لتموت ذلك الموت الجميل» (الرواية ص٣٢).

وتعد مجد للرحلة وتصاحب الراوي فيها، وهي محاولة غير أكيدة منها لإعادة صلة قديمة كانت بينهما، لكنها قديمة ولاتصلح للحياة، لأنها - كما هو واضح قد اختلفت، والراوي الذي عاد لايبدو أنه عاد حقيقة، يبدو طوال الوقت غريباً في المكان، وتعشش دائماً في مخيلته صديقته التونسية عائشة، بدلاً من مجد، ومن هنا فإن مجد التي تدرك المعضلة تصطحب معها أكرم الفلسطيني الأصل الأمريكي الجنسية، الذي عاد هو الآخر ولكن بطريقة مختلفة ولأغراض مختلفة.

عاد أكرم الثري الأمريكي ليبحث عن «بيرتا أهارون، راقصة الليدو، حبيبة [عمه] فارس الفارس، رمز التعايش، وصورة المستقبل» (ص١٢٢).

ثلاثة تضمهم الرحلة ولكن أغراضهم مختلفة، وكل منهم يسلك على النحو الذي يحاول أن يحقق به غرضه. ولكن الواقع «الإسرائيلي» يحرمهم من هذه المحاولة. عبر الرحلة تنكشف فداحة الحقيقة، حقيقة الإحتلال الإسرائيلي الذي غيّر كل شيء وأصبح العرب فيه (حتى ذو الجنسية الأمريكية) غرباء وإرهابيين، وغير مرغوب في وجودهم حتى ولو للزيارة (ورمز التمساح الوهمي في البحيرة والشوارع تجسيد واضح لذلك).

ففي المدينة التي بنيت على أنقاض سمخ يتوقف الرجل «أهذه سمخ؟ ها أنت بعد ستة وأربعين عاماً تعود إليها. تعود سائحاً.. متفرجاً، زائراً وسط الهواجس والريب والخوف. حملت في أعماقك صورتها، ذاكرتها أصبحت ذاكرتك. حكاياها وأناسها وعطر ورودها وبساتينها، تستطيع الآن أن تعيد بناءها وهندستها، بيوت الطين وبيوت الحجارة السوداء، دار الحاج حسين، ودار الأمان، وتلة الدوير، وأم المصاري وتلة القصر، وصفير القطارات [راجع رواية بحيرة..]

هنا، صارت مدينة يهودية جديدة فوق ترابها، على أنقاض بيوتها.

سمخ، مدينة تم ترويضها وتهويدها» (الرواية ص٨٠) في هذا المكان يقضي الراوي، ومجد ليلتهما معاً مع استحالة أن يلتقيا، بينما ذهب أكرم مع بائيل عاملة المطعم اليهودية لتحقيق غرضه في البحث عن برتا. ومن شاطئ البحيرة ترغب مجد في أن يستحما معاً في بحيرة طبريا، وكان الراوي يود لولا ذكرى عائشة، ولولا الخطر الداهم الذي حل على الإسرائيليين من تمساح صغير في البحيرة أمسكوا به بعد وقت قليل. ولكن ضاعت الفرصة لكي يستحما معاً.

استحال إذن، بسبب الواقع الجديد أن يستعيد الراوي «مجد»، مثلما استحال أن يستعيد سمخ أو أن يستحم في طبرية. استحال أن يستحم النهر في البحيرة «النهر ذكر، والبحيرة أنثى» (الرواية ص١٠٩).

في المقابل كان أكرم يسعى، عبر تواصله مع الإسرائيليين - لتحقيق أمله في الوصول إلى بيرتا - رمز التعايش، وفي هذه الأثناء اكتشف مفاجأة هامة للرواي. فخاله عبد الكريم لم يدفن على شاطئ البحيرة كما كان يتمنى، وإنما حفظ جثمانه في ثلاجة بعد أن أطلقوا عليه الرصاص على الحدود في انتظار مبادلة جثته ظناً بأنه جندي سوري. ورغم الأسى يستعد الراوي للذهاب لتسلم الجثة كي يواريها تراب شاطئ البحيرة، كما كان الخال يحلم، غير أن الإسرائيليين يرفضون حتى مجرد رؤية الجثة، لينهار حلم الراوي الأخير، مثلما ينهار - أيضاً - حلم أكرم برؤية برتا.

لقد استطاع أكرم أن يجد برتا فعلاً، وأجرى ترتيبات مكثفة لتصوير اللقاء تلفزيونياً، ولكنهم حين ذهبوا للتصوير وجدوا برتا «لاتسمع كما أنها لاتتكلم، وفضلاً عن ذلك فإنها بالكاد ترى نوعاً من الغبش» (ص١٢٥) ولم تستطع التعرف على أكرم ومن ثم «فلن يكون هناك حوار البتة».

وهكذا انتهى أيضاً حلم أكرم الذي بدا طوال الرواية منفوشاً كالطاووس بثروته وأحلامه في التعايش «ارتسمت أقصى حدود الخيبة على وجه السيد أكرم، وبدا جريحاً ومهزوماً وشاحباً.

مشى مثل أب نفض لتوه يديه من تراب أهاله على قبر ولده، مشى وقد احدودب ظهره» (ص١٢٨).

«لقد جاء يبحث عن التعايش، فوجد صفحته ملأى بالتجاعيد» (ص١٣٢).

ومن هنا فإنه من المنطقي أن تتحول تهكمات أكرم الصغيرة المنتشرة عبر الرواية إلى ثورة، ورفض كامل وتنتهي الرواية بصراخ أكرم في وجه الجندي الإسرائيلي: «القنبلة موجودة داخل صدري.. في أعماقي.. حذار من الإقتراب فقد تنفجر بين لحظة وأخرى» (ص١٤٤).

ومع تحطم حلم الراوي من ناحية، وحلم أكرم من ناحية أخرى، يتحطم أيضاً حلم مجد، التي كانت قد بدأت تتواصل بوضوح مع أكرم.

غير أن هذه الأحلام التي تحطمت قد كشفت عن كونها أوهاماً لا أحلاماً، أي أن تحطمها قد كشف الحقيقة التي تعيش في صلب الواقع، وليس في الخيال، ومن هنا أهمية التماهي المجسد فنياً على نحو بديع بين الراوي و«أونودو» ففي حين يحاول الراوي أن يلاحقه متبنياً معاناته إلى حد الجرح كما رأينا في النصوص السابقة، فإنه في نفس الوقت - يطلقه من أسر أوراقه ليعود إلى الواقع «أريد أن أستنشق الهواء، وأن أرى الأدغال والسماء الزرقاء، اريد أن أشم رائحة الأرض وأن أستمتع بالنقاء وغب المطر.

أريد أن استحم تحت الشلالات، وأن أشاهد التماسيح في المستنقعات، وأن أحتمي من الشتاء بأوراق الموز التي تشبه آذان الفيلة.

أريد أن أراقب الشواطئ بمنظاري، وأن أحرس الفكرة التي نذرت حياتي من أجلها.

أريد أن أراقب بزوغ الفجر، وأرى أول حزمة ضوء تطل من وراء التلال» ص١٤١. لا يريد «أونودو» أن يدجّن في أراضي الحكم الذاتي، يريد وطنه الحقيقي، وحلمه الحقيقي بنفي الهزيمة والإنتصار للحياة الكاملة غير منقوصة.

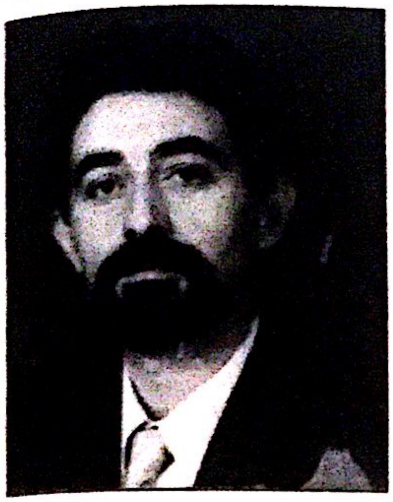
أليست هذه هي الرسالة التي عانى يحيى يخلف فنياً وإنسانياً على نحو ملحوظ لكي يصل إليها. نعم هي الرسالة المهمة، والأهم أنها جاءت مجسدة على نحو فني راق، لتكون فيما أعتقد - أجمل روايات يحيى يخلف ■■

(*) كاتب وناقد مصري.

الباحث والأديب السوري د. محمد جمال الطحان لـ "الهدف"

موضوع النهضة الذي اقترحه أجدادنا، لم يزل موضوعنا!

حوار: هناء طيبي



الدكتور محمد جمال طحان، أحد المتميزين في الساحة الأدبية السورية، تنوّع نتاجه الكتابي، ما بين البحث والنقد والإبداع الأدبي، وفي كل مجال منها له مؤلفات عدّة، من بعض اهتماماته الحالية «الفكر العربي الإسلامي المعاصر» كما كان هاجسه السابق «عبد الرحمن الكواكبي» أحد شوامخ المفكرين العرب، الذين أسهموا في النهضة العربية، أوائل القرن التاسع عشر، فالف عنه كتاباً هاماً، تحت عنوان «الإستبداد وبدائله في فكر الكواكبي»، كما حقق أعماله الكاملة، هذا عد المحاضرات والندوات التي قدّمها على أهم المنابر الثقافية العربية، ولعله جدير بالذكر أيضاً أن أطروحة الدكتوراة للباحث الطحان، كانت في فكر «نجيب زكي محمود» رغبة منه في إكمال مشروع دراسة الفكر العربي.

حول كتابه القيم هذا، عبد الرحمن الكواكبي، كان لنا معه الحوار التالي:

□ما سبب اختيارك (عبد الرحمن الكواكبي): هاجساً فكرياً، وقد قدمت عنه هذه الغزارة من الإنجازات المنوعة، هل كان ذلك إعجاب شخصي منك برجلٍ له بناؤه الفكري الشامخ، في تاريخنا العربي، أم انّ هناك أسباباً تحريضية؟

■■لاحظت التشابه الكبير بين ما نعيشه نحن وما عاشه أجدادنا، وظلّ السؤال الملح، لماذا تخلّفنا وتقدّم غيرنا..؟

بدأت بقراءات أولية علّي أعثر على إجابة شافية أو شبه حاسمة، أو لنقل بدأت بالبحث في عامل رئيسي لما نحن فيه، ولاحظت أن مشروع النهضة الذي اقترحه اجدادنا، لم يزل موضوعنا الذي علينا أن نكافح من أجل تحصيله، وهذا لايتم إلا بإعادة قراءة فكرهم لنبحث مواضع الخلل التي رمت بنا في مستنقع ما نحن فيه.

والكواكبي واحد من الذين شرعوا بتفكيك الأزمة للقبض على مصادر العتمة التي تكحّل أيامنا بالسواد، ومن بين جميع النهضويين العرب، لفت انتباهي الكواكبي الذي بدأ مثلي، ببحث المسألة بعموميتها، ثم راح يضيّق الدائرة شيئاً فشيئاً إلى أن وصل إلى مركزها ثم إلى نواتها وراح يتفحصها، وقمت بدوري في فرز الإلكترونات والنترونات لأصل إلى سبب نخر العظام الكبير الذي يؤدي بنا إلى وديان الجحيم، فحسبت وما زلت أحسب، إنه الإستبداد بشحمه ولحمه وحسب، لأنني أراه خالياً من الدم الذي يحرّك سماتنا الإنسانية.

الإستبداد كان ومايزال عدوي الأول، الذي حفرت في بطون الكتب بحثاً عن فهم طبائعه، وبدأت ذلك منذ الفلسفة اليونانية حتى مشارف القرن العشرين، لقد أوغلت في تراث الإنسانية، واستهوتني بعض الأفكار والأسماء فعشت فيها ومعها تكاثف الصراع ضد الإستبداد، ولكن الكواكبي غدا الأقرب إليّ عبر معاناتنا التي جعلت مجموعة معطيات، تشدّني إلى هذا المفكر الحلبي الفذ الذي بكلمات قليلة قال أشياء، لم يستطع كثير من مفكّري القرن العشرين السوسيولوجيين الارتقاء إليها.

□هل تعتقد أن ذلك العصر يمكن أن يعيد نفسه، وماذا تقول بمصائر ما طرحه هؤلاء الشوامخ؟

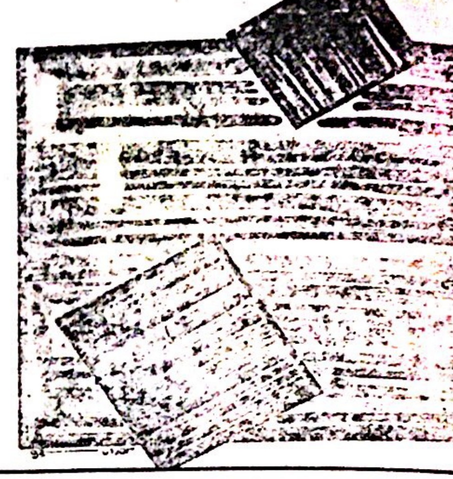
■■قال الكواكبي عن كتابه «طبائع الإستبداد»، [هي كلمات حق وصيحة في واد، إن ذهبت اليوم مع الريح لقد تذهب غداً بالأوتاد]، ولاشك أن الشرط الثاني من مقولة الكواكبي قد تحقق اكثر من الشطر الأول، بدليل الحركات الثورية التي قامت نتيجة كتابيه «طباع الإستبداد وأم القرى»، ولكن ذلك لايعني أن المشكلة قد حلت إلى الأبد، فالصراع كان ومايزال وسيبقى بين القاهر والمقهور، وكلما أطاح الشعب بمستبد تفتقت أذهان الشر عن شكل يحمل لبوساآخر يختبئ خلفه الطغاة محاولين حماية قلاعهم بأساليب جديدة، وهذا يعني أن على المقهور أن يداوم فعل الثورة لتأطير حكوماته بقانون يضمن أن يحفظ الوطن من براثن أي أوتاد يحاول أن يقيمها أي مستبد، وبمعنى آخر كلما ظهر مستبد احتجنا إلى كواكبي آخر كي يشحذ هممنا لمواجهته..

□ما هي السبل والدلالات التي اتخذتها في شرح أفكار الكواكبي؟

■■من كثرة قراءاتي للكواكبي، تماهيتُ معه، وأنا أحاول أن أكونه، فأرى بعينيه، وأسمع بأذنيه، وأحكم على الأمور من منطلقاته، لكن هذا لايعني أن أتقمصه فلا أخالفه في بعض ما أورده، ولهذا حين بدأت أعرض فكره، عرضته من وجهة نظر تأخذ بعين الإعتبار الفترة التاريخية التي عاشها، أما عندما وصلت إلى فصول المناقشة، أخذت عليه آراءه الغامضة حول علاقة الإستبداد بالإستقلال، كما خالفته في بعض ما أورده حول الإنسان من حيث فطرته التي جاءت متناقضة بين الخير والشر، عند الكواكبي، أما فيما يتعلق ببدائل الإستبداد، فإنني وجدت فيه مجاملة لم أستطع تبنّيها، هذا من حيث الأفكار عموماً، أما فيما يتعلق بالأسلوب فقد لحظت فيه كثرة التكرار واستخدام الخطابية، التي تميز بها الخطاب النهضوي العربي عموماً، لكنني أسوّغ له

محمد جمال طحان

الاستبداد وبدائله في فكر الكواكبي



ذلك أيضاً لأنه لم يكن يتمتع بفلسفة تشمل مواقفه من الحياة، لكنه كان ذا نظرة ثاقبة فيما يتعلق بموقفه من الإستبداد ومن علاقة العروبة بالإسلام، فلقد كان الكواكبي إنسانياً لم ينحصر همه في وطنه وحسب، وإنما أراد أن يحرر الإنسان انطلاقاً من اقتناعه بالإسلامية منهجاً لايتعارض والأخذ بمعطيات العصر الحديث الذي وصلت إليه النظريات الأوروبية الحديثة.

□إذاً هل لك أن تقوّم لنا أهميته بين اقرانه؟

■■إن فضل الكواكبي الأساسي يكمن في انه فتح آفاقاً عديدة في كل الإتجاهات، خاصة فيما يتعلق بالعلاقة بين العروبة والإسلام، وفي انه تعمق في البحث عن الدواء الذي أودى به إلى مفهوم الإستبداد الذي أودى بنا، كما أنه عالج مسألة الإستبداد التي لم تزل قضية حيوية في تقدّم الوطن العربي والأمة الإسلامية معاً.

وتتضح أهمية الكواكبي في انك تجدينه مبعث تجاذب كل الأطراف، حيث يجد العروبي مدخلاً إليه، كما يجد الإسلامي في مؤلفات الكواكبي شرفة تدعو إلى التفكير، وقد يدهش الكواكبي نفسه إن عرف أنه محط انظار الشيوعيين، فضلاً عن (انطوان سعادة) الذي تحدث عنه اينما حلّ..

□هل يمكن أن نصل إلى زمنٍ لانسمع فيه عن هذا المصطلح «الإستبداد» أقصد هل يمكن أن يمحى واقعياً.

■■لقد استطاع (عزيز نسين) في إحدى قصصه أن يُسقط المستبد بطريقة مبتكرة، وذلك عندما ابتدع أن يرهقه الشعب بالتصفيق، ولكن هذا الأمر غير وارد في الحياة الواقعية، لأن المستبد لايعيش إلا بالخديعة والأحداث المثيرة والخصومات، ولو اننا جعلنا شعباً مايتفق على التهليل لمستبد ما، فلن يريحه هذا الوضع، لذلك لابد أن يفتعل له أخصاماً ما ليحاربهم، المستبد يطالب الناس بالتصفيق حتى لأخطائه، وأن يهتفوا بحياته، ثم يجلس في آخر الليل امام التلفاز ليضحك وزوجته على غبائهم ■■

امسية ادبية في حلب



بدعوة من الهيئة التاسيسية لمنتدى الشهيد غسان كنفاني الثقافي في حلب وبالتعاون مع منظمة الشبيبة الفلسطينية في حلب، أقيمت امسية ادبية في ١٩٩٩/٣/٢٦ حضرها حشد كبير من المهتمين، قدّم للامسية وأدار الحوار الشاعر عبد القادر أبو رحمة.

وكان أول الأصوات المشاركة في الأمسية القاص لؤي خليل الذي قدّم قصتين الأولى حملت عنوان (وجوه القلعة) والثانية بعنوان (أشياء ضائعة) وفي القصتين يبدو القاص مشغولاً بالتجريب المشهدي واللغوي مستنداً إلى بحثه عن تقنيات فنية تتكئ على النثر التراثي مركباً للمشاهد المواقف والحوادث عبر خط واحد ناظم مبتعداً عن الخطاب السردي المباشر، يلعب المكان في قصتيه دور البطولة وللمكان لديه دور جمالي ودلالي في أن يهدف منه تحقيق الإدغام بين هواجسه الشخصية وأحوال المكان، كانت قصتاه صرخات مدوية تحاول أن تفضح وتعري الزيف المحيط وحالات الخراب المادي والروحي الماثل أمامنا والمحيط بنا.

والصوت الثاني كان القاص أحمد خيري الذي يناقش من خلال قصته (دعوى) التي قدمها مشكلة الأقليات والمعاناة التي تعيشها في ظل سياسات تحاول طمس معالمها الحضارية وتغيّر حتى أسماءها. بلغة بسيطة سهلة، وبإعتمادها على الخطاب السردي المباشر والحوار استطاع القاص أحمد خيري أن يوصل قصته إلى الجمهور.

والصوت الأخير كان الشاعر والباحث د. محمد جمال طحان الذي قدّم أربع قصائد هي «مسامات الفجر» و«أسئلة عابرة من الزمن الغابر» و«سراب» و«حالات المداد» يطغى على القصائد التي ألقاها التأمل والهدوء، بلغة شعرية تعكس الواقع بشفافية عالية، هذه اللغة التي تمتلك خصوصيتها على يد الشاعر د. طحان إنه صوت متمكن من أدواته ويراهن على لغته الشعرية.

عقب ذلك دار حوار بين السادة الأدباء والحضور حول الأعمال المقدمة وحول مجموعة من القضايا الحوارية كإشكالية المتلقي المستمع والمتلقي والقارئ، وحول الشعر الحديث والشعر القديم وحول دور الأدب وما هو المطلوب منه؟

كما اقامت الجبهة حفل استقبال للوفد النرويجي بحلب في مكتب الجبهة الشعبية وقدم أطفال نادي الشهيد غسان كنفاني عدد من الفقرات الفنية أغاني ودبكة واغنية باللغة الإنكليزية.

وقدم الرفيق عمر مراد كلمة شرح فيها ظروف المخيم الإجتماعية والإقتصادية والظروف الإنسانية وأكد على ضرورة الإهتمام بالشبيبة والطفولة حيث لايوجد في المخيم أية حضانة أو أي روضة نظامية هذه هي ظروف اللاجئين بعد خمسين سنة من النكبة. المعاناة مستمرة ولا حل إلا بالعودة إلى فلسطين.



خصوصية مسرح الدمى في علاقته مع الواقع

دلال مقاري

يتميز هذا الفن بوضعية خاصة لايستقيم معها البحث بيسر، إن بقدر ما كان تاريخ فن العرائس موغلاً في القدم بقدر ما نلاحظ عدم اتساع رقعة انتشاره وجهل عامة الناس به.

إن تاريخ البشر لم يغفل جانباً لعبت من خلاله العرائس دوراً هاماً في حياة عديد من الشعوب ولاتزال تلعبه في كثير من المناطق حيث كانت العرائس تعتبر منذ بداية التاريخ مرآة للآلهة وذلك عندما تصبح آلة تتحرك بين أيدي السحرة فتتقبل قوة الآلهة لحظات القداس وتشع بما على البشر المحيطين بها.

ويمتد تاريخ العرائس المهرجة من اليونان القديمة حتى يومنا هذا.

وبالرغم من أن اليونان لم تحتفظ بأشكال واضحة لهذا الفن إلا أنه يكتسي أهمية خلال القرن السابع عشر كهواية يجتمع عليها الأدباء وأهل الفكر.

ويكاد الشرق الأقصى ينفرد بشكل متميز لفن العرائس، إذ هو يجمع في الآن ذاته بين القداس الديني وبين الفرجة العرائسية وهو ما نجده في جزيرة بالي بأندونيسيا وفي بعض مناطق الهند، ويستغل الفن العرائسي في اليابان أشكالاً معينة لاتزال متداولة على الصورة التي ولدت عليها منذ القرن السادس عشر، على ايدي عائلات لاتزال تتوارث هذا الفن جيلاً عن جيل.

أما في القرن السابع عشر فقد اعتبرت الكنيسة العرائس «أداة توعية وتثقيف شعبية» لابد من استغلالها، لذلك دعا المجلس الأعلى للكنيسة إلى استعمال العرائس كوسيلة لتعريف القوم بالديانة المسيحية.

ثم تتابعت الشخصيات العرائسية وتطورت بتطور المجتمعات التي ظهرت فيها، حتى أصبحت هذه الشخصيات مؤسسات لها قواميسها وتواريخها كشاهد على ما يتشكل في بوتقات الثقافات الشعبية من أحلام ورؤى وتصورات. فما «بولتشينالا - وباتروشكا - وفينول وكراكوز» إلا شواهد ثابتة على ما يحتدم داخل المجتمعات التي ظهرت فيها هذه الشخصيات من صراعات تجعل الناس يتوقفون عند هذه العرائس لأنها تمثل فرجة ومرآة صادقة لنفس عامة الناس.

مع تطور الدور الطقسي للعرائس عبر التاريخ، تطور في موازاة ذلك شكل العرائس وتقنيات استخدامها، فبينما كانت العروسة في السابق فرقة /ساذجة/ بدائية/ ترمز إلى الآلهة في طقوس احتفالية، أصبحت الآن متعددة الإمكانيات لتقوم بدورها الترفيهي والتعليمي المعاصر.

وتنوعت مناهج العرائس التي تقع بين دمى الخيطان ودمى الكف، حتى صار فن العرائس بئراً عميقة لاينضب بتنويعاته المختلفة تقنياً وخطابياً.

ومن ناحية أخرى فإن السذاجة والبراءة اللتين يمكن أن تعبر عنهما الدمية مشكّلة في صور «البشر أو الحيوان» أو غير ذلك، تعبران في الأصل عن أشياء هي بدءاً من البراءة والسذاجة لتورطها تاريخياً في عديد من المجالات السياسية والدينية بالأساس، ذلك أن العرائس قادرة ربما أكثر من الممثل إذا ما قارناها به على التعبير



والإبداع وربما كان ذلك مدعاة إلى اعتبار هذا الفن لا فقط في وسائل الترويج والترويض بل وأيضاً من وسائل المشاكسة.

«فالغينيول» وهو «ماريونيت» خاص جداً كانت تستخدم في القرن الماضي بشخصيات نموذجية من منطقة «ليون» وكانت هذه العروض تقدم للكبار لما فيها من مشاكسة أخلاقية.

وتتوضح لنا الأهمية التي يكتسبها فن العرائس سواء في إطار الفرجة عموماً أو في غرض ملاعبة الأطفال ومساعدتهم على التفتح على بيئاتهم المختلفة، فالعرائس كفن راقٍ ومكتمل، تتعدد مزاياه وتنسحب عليه صفات لاتتمتع بها الفنون الأخرى. لذلك (تصمد العرائس أمام المدّ العنيف للصوّرة في مختلف أشكالها الحديثة، لأن لهذا الفن أسراراً مازال في طور اكتشافها وتطويعها، إنه فن مفرط في الحداثة بقدر ما هو مفرط في التقليد).

إلى ذلك يذهب بعض المسرحيين العالميين إلى حد تفضيل هؤلاء الممثلين المصنوعين من الخشب أو القماش على الممثلين الآدميين، لماذا؟.. «لأنهم لايكذبون، ولأنهم لايدّعون ما ليس لديهم». هل يعني ذلك أن العرائس هي الحقيقة؟ «ربما تكون أهمية وخطورة العرائس تكمن في هذا المصطلح»!

فمع الدمى نحن أمام فن واقعي تماماً، وهذا يعود إلى امكانيات الدمية المتعددة، حتى في ميدان العواطف وهو أكثر دقة، هناك بعض المعادلات المذهلة في الأداء التي يفهمها المتلقي. (يبكي الأطفال لأن الذئب سرق البّطة، يصرخون لنجدة ليلى وبطتها، لأن العرائس تلامس عمق المتلقي بتعبيرها العفوي عن ذاتها).

تنفرد العرائس بمفهوم «الحقيقة» بالنظر إلى ما يمكن أن تمثله من جدوى بالنسبة إلى التنشيط، ذلك أن الفرجة مهما كان مدلها ومهما كان الجمهور الذي تصبو إلى غزوه، فهي تعتمد بالأساس على قدرة الإقناع، ووضع المتفرج في وضع المصدّق المسلّم بما تعرضه عليه الفرجة.

(العرائس تخاطب المتفرج، الطفل تحديداً وهو يستقبل ما تعرضه الفرجة عبر ذاتيته وقدرته على تقبل الخرافة).

ولأن غاية العرائس هي إيهام المشاهد بأن ما يقدم (هو الواقع والحقيقة) فقد اصبحت مشابهة الواقع شرط للدخول في عملية الإيهام.

وينسحب الإيهام في العرائس على عدة مستويات، في الدمية مثلاً أو في عملية تجسيد المشهد العرائسي، وحتى في شكل الكتابة التي تحاول الإيهام، بأن ما تقدمه هو الحقيقة ويعتبر الإيهام عبر الصورة من السهولة حيث أنه لايتطلب عملية ذهنية.

تعتبر العرائس فاعلة بذاتها لأنها ابداع كحالة وابداع كصورة وابداع كحركة. لأن الدمية تعيد خلق الحياة بوسائلها الخاصة، وتستنبط قائمتها الخاصة بالحركات، وهذه الحركات ليست حركاتنا البشرية بالضرورة، لأن إمكانيات ووسائل الدمية تختلف كما هي لدى ممثل من لحم ودم.

(يمكن للدمى أن تطير عبر فضاء المسرح، أن تختزل حركات الممثل البشري إلى أقصى حد).

فمع العرائس بقي المرجع هو الواقع كما مستوى الحركة أو الخطاب المسرحي، لكن معنى المحاكاة هنا قد إختلف وأصبحت العلاقة مع الواقع هي مرجعية العمل، مرجعية المتلقي، عبر تصورنا المسبق عن الأشياء الواقعية والقضايا النفسية.

ان العلاقة الطبيعية التي تنشا بين العرائس والطفل (على اعتبار أنه يمثل الجمهور الخاص بالدمى) هذه العلاقة تنشأ بحكم نزوعه إلى دخول عالم الخرافة عن طواعية، هي في الحقيقة عملية تأسيس الركيزة الشعبية لهذا الفن، فهذا الجمهور يدخل في الإيهام عن قصد لأنهُ قبل عملية الفرجة.

فالمتلقي الطفل هنا يصل إلى حالة من الإيهام لكنه في الوقت ذاته، يحمل التأثير المختلف ألا وهو الإنكار.

ومما يدعونا إلى التثبت من أمر العرائس وشعبيتها هو اعتمادها على مبدأ الحركة لا فقط كمحرّك لأدوات التعبير بل وكأداة للتعبير في حد ذاته، ذلك أن فن العرائس، هو فن الحركة بالأساس حيث أنه قادر على الغوص في أعماق المعاني دون الوصول حدّ الإسفاف.

وتأخذ هذه الحركة أو هذا الفعل ابعاداً نادراً ما تتوفر فوق الخشبة بين الممثلين من البشر.

ومن الفروق الأساسية بين المسرح والدمى المتحركة هو الحركة التي تسمح بضغط سير الأحداث إلى أقصى الحدود.

فالمغالاة أو المبالغة التي يعتمدها فن العرائس تأخذ في غالب الأحيان ابعاداً شاعرية بحتة، هي في الحقيقة صور بلاغية تحاصر الإنسان وتعريه وتدفعه إلى مراجعة البديهيات التي تحتكر عقله.

(فمن بديهياتنا أن الإنسان لايطير ولايمكنه أن يحيا مرة أخرى بعد أن يناله الموت، لكن العرائس كالشعر تقترح حالات شاعرية وصوراً بلاغية مدهشة يمكنها خلخلة البديهيات، فالإنسان العرائسي، يموت ويحيا ويطير). وهذه المبالغة تقوم على أساس مفهوم البُعد الشرطي في الإيهام وتنمية إمكانيات الدمية التي تسمح بتنفيذ حركات لها قيمة رمزية.

إن قبول الطفل بشروط اللعبة العرائسية، يؤدي به إلى التماهي والتمثل وهو نوع من متعة المشاهدة التي تقود إلى التفريغ.

(يقول «أناتول فرانس» أنا احب العرائس، فالذين يصنعونها فنانون والذين يحركونها شعراء).

ان فن العرائس فن كامل أولاً وهو فن تتعدد فيه طبقات الكتابة والقراءة والإستيعاب بتعدد طبقات المتفرجين سواء أكانت عُمرية أم ثقافية أم غير ذلك.

إن القيمة التربوية لفن العرائس وإمكانية استغلاله في تثقيف النشء الجديد، تجعله قادراً على تخطي الحواجز والتعقيدات الاجتماعية والإقتصادية التي يواجهها ■■

عزف منفرد

إمرأة من زمن المستحيل!

اكتشفت بالصدفة المسلسل الدرامي المصري: «إمرأة من زمن الحب» في البداية شدتني نصاعة الصورة المدهشة بشفافيتها وإيقاعاتها القريبة من إيقاعات قلوبنا، ولاسيما صورة هذه المرأة الرائعة «السيدة وفية»، بيد أنني كلما توغلت في مشاهدتي لهذا العمل كانت تفاجئني شخصية هذه المرأة بغنى عوالمها الداخلية، وحساسيتها، وتعدّد وجوهها، ونكاتها، وعمق جوهرها.. خاصة وأن كل هذا كان ينعكس على صفحة وجهها الجميل، وردود أفعالها وارتعاشة جسدها والتقاطاتها... وأحسب أن كل من شاهد هذا العمل يشاركني انفعالي بهذه الشخصية الحية النابضة بالحيوية، ورغم أن الشخصيات الأخرى مشغولة أيضاً بحرفية عالية، إلا أن شخصية وفية تستحوذ بظني على لب المشاهد وتهيمن عليه هيمنة كاملة.

لا أريد (تفسيراً لهذه الحالة) الذهاب بعيداً في قراءة عمق المعالجة الدرامية للسيناريست الاستثنائي اسامة أنور عكاشة، أو الحديث عن الأداء المدهش للفنانة سميرة أحمد في مقاربة عوالم هذه الشخصية، ولن أتعب نفسي في تحليل الأدوات الإبداعية المتمكنة لمخرج هذا العمل أو الحديث عن تفاعل وتكامل جميع العاملين فيه من ممثلين وفنيين وإداريين.. ولن أشير إلى جهود آخر كومبارس شارك في بناء هرم هذا العمل المتميز.. لن أخوض في كل هذا، لأن ما يقلقني ويقض مضجعي السؤال: من أين لنا أن نجد في صحراء حياتنا، وخوائها صورة لهذه المرأة ـ المثال؟!

أعلم أن المقصود، ليس المرأة ـ الواقع، وإنما المرأة ـ الرمز، أو المرأة ـ القضية، أو المرأة ـ المشتهاة، أو بمعنى آخر المرأة الجوهر القريب من المطلق.

في اعتقادي أن عكاشة، لايقدّم لنا نموذجاً لإمرأة من زمن الحب، وإنما من زمن المستحيل، لأن هذه الصفات لايمكن أن تجتمع كلها في إمرأة واحدة، أو إنسان واحد، في عالم بات يضجّ بالعنف والقسوة والإختراق، وموت القيم، ولكن لابأس أن نضيء عتمة حياتنا بإشعاعات مثل هذه المرأة، ولو في الحلم، أو التمثيل.

علي الكردي

سورية واللاجئون الفلسطينيون



عن دار كنعان للدراسات والنشر، صدر حديثاً كتاب للمحامي ظافر بن خضراء: «سورية واللاجئون الفلسطينيون العرب للقيمون»، قدم للكتاب الأستاذ خالد الفاهوم رئيس المجلس الوطني الفلسطيني.

يتحدث الكتاب عن أوضاع اللاجئين الفلسطينيين الذين تشتتوا بعد نكبة عام ١٩٤٨ في البلدان العربية التي نزحوا إليها، واختلاف أوضاعهم القانونية باختلاف موقف تلك الدول الإستراتيجي من القضية الفلسطينية ومن الفلسطينيين انفسهم.

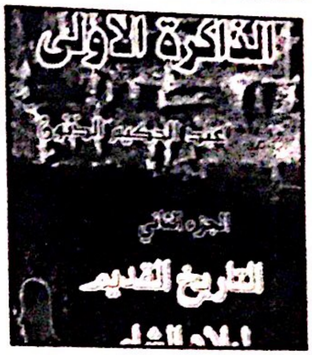
فمن دول حجبت عن الفلسطينيين حق العمل، إلى دولة لم تترك أي تمايز بينهم وبين مواطنيها (سورية) حيث أكدت دراسة المحامي الخضراء ذلك بالنصوص القانونية والوقائع الثابتة.

دراسة/ عن شعر الإنتفاضة

شعر الإنتفاضة في البعدين الفكري والفني، دراسة للناقد فائز العراقي صادرة عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق /١٩٩٨/. يتناول الناقد بعض النماذج الشعرية العربية التي تناولت الإنتفاضة الفلسطينية موضوعاً لها. من هذه النماذج أعمال الشعراء (عز الدين المناصرة، محمود درويش، سعدي يوسف، محمود علي السعيد، هاشم شفيق، ميخائيل عيد، عبد الكريم الناعم وغيرهم).

وتتناول الدراسة ظاهرة الشعراء الشباب، ومقاربتهم لهذه الموضوعة ومن النماذج المختارة أعمال للشعراء (محمد سلام، إياد عاطف حياتلة، محمود سرساوي) ويتساءل الناقد هل ارتقى الشعراء بادواتهم واساليبهم الفنية إلى مستوى الحدث التاريخي، ويخلص إلى أن اغلبية النصوص الشعرية لم ترتقِ إلى مستوى هذا الحدث.

الذاكرة الأولى لعبد الحكيم الذنون



صدر حديثاً عن مؤسسة نينوى للثقافة والإعلام الجزء الثاني من كتاب «الذاكرة الأولى» لعبد الحكيم الذنون، يتضمن الكتاب دراسة في التاريخ السياسي والحضاري القديم لبلاد الشام، هذا وكان الجزء الأول من «الذاكرة الأولى» قد صدر في العام ١٩٨٨، وتضمن دراسة في التاريخ السياسي والحضاري القديم لبلاد الرافدين.

مرثية لسيدة الورد



«مرثية لسيدة الورد» عنوان جميل لباكورة نتاج الشاعر والفنان التشكيلي الشاب الحكم النعيمي، الصادرة حديثاً عن دار كنعان للدراسات والنشر /١٩٩٩/.

يقول الكاتب طلعت سقيرق في تقديمه لهذه المجموعة الشعرية: «إن حكم النعيمي يضع بصمته دون رتوش في الشعر، وهذه واحدة لصالحه.. فالشاعر هنا لايلعب لعبة الألفاظ، ولايدخل في لعبة بناء الصور، ولاتجره القافية ليكون متصنعاً.. إنه ببساطة يترك للكلمات أن تكون مطراً يطرز الأرض العطشى بزهر حقيقي.. من هنا هذا الإندفاع الجميل نحو صلاة الروة بتلقائية وأصالة».

«تخاريف» صليبي على مسرح الحمراء بدمشق



يستمر العرض المسرحي «تخاريف» على خشبة الحمراء بدمشق، ضمن عروض نادي المسرح القومي في سورية. العرض عن نصوص أدبية لكل من: عبد المجيد حيدر، وكوليت بهنا، وماهر صليبي، وهو من إعداد وإخراج الفنان ماهر صليبي، وتمثيل عدد كبير من المثلين السوريين على رأسهم الفنان عبد الرحمن أبو القاسم، والفنانة ثناء دبسي التي عادت إلى خشبة المسرح بعد انقطاع دام أكثر من عشرين عاماً وتعتبر عودة الفنانة دبسي إلى خشبة المسرح حدثاً ثقافياً هاماً بحد ذاته لما لهذه الفنانة من رصيد هام في تاريخ المسرح السوري.

ينهض العرض على مجموعة من اللوحات المسرحية أو «التخاريف» التي يجمع بينها خيط داخلي، تتناول بشكل كوميدي ساخر بعض الظواهر النافرة أو السلبية في حياتنا الإجتماعية والثقافية، والتخريفة الأساسية التي يؤديها الفنانان أبو القاسم ودبسي تتناول قصة حب بين عجوزين يعيشان حالة من الغربة والوحدة في مأوى للعجّزة، لتقول: إن الحب حاجة إنسانية أبدية وذلك بغض النظر عن مسألتي الزمان والمكان■■

إلى أجملنا.. وديع حداد

أحمد جابر

الرفيق العزيز وديع حداد

هل من المناسب العودة إلى رثائك بعد واحد وعشرين عاماً على استشهادك. غيابك ـ المستحيل؟ أو ربما أكتب إليك طالباً أن ترثينا أنت.. تطلق نظرتك الحزينة الدافئة المفعمة بالأمل إلى هؤلاء المضيعين في متاهات السلم وفوضى التفاوض.

وكيف يمكن الكتابة عنك.. وصفك، مديح ما ميزك عنا.. وكيف لي أن اكتب عن بطل حكايتي، كيف وأنت بطل جيل كامل، قدوة ملايين الشباب وحلم ملايين الفتيات.

واختصاراً لبكائية لاتهمك، ربما تريد أن تسمع أخبارنا وأهمها أن بعضنا «جنحوا للسلم»! أترى؟ وصار عندهم (دولة) وطائرة رئاسية. ليتك تخطفها. وأجهزة أمن ووزارة تخطيط ولكن جلنا مازالوا يصرون على رفع راياتك، ويواصلون طريقك، بل بعضنا يريدون العودة إلى خطف الطائرات وانشاء مطارات جديدة للثورة.. أترى.. مازال الحلم مشتعلاً. ومازالت فلسطين عروساً متمناة لكل شبابنا.

أتريد سماع أخبار رفاقك.. «كارلوس» يهديك السلام من باريس. حظي أخيراً بزنزانة فرنسية. وتتسابق أوروبا للحصول عليه، ولكنه في رسالته الأخيرة، مازال يعلن ولاءه لك، ومازال يؤمن أن الإمبريالية والصهيونية إلى زوال.

أما رفاقك اليابانيين. جماعة اللد. فحظهم أقل، لم يحصلوا إلا على زنزانة ضيقة، وبلادهم تطالب بهم، ولكنهم يواصلون الحياة ويرسلون رسوماً من داخل السجن تقول لنا أن استمروا. ومازال إيمانهم عميقاً بأن فلسطين لنا. ولأنهم عندما نزلوا في مطار اللد كانوا ينفذون زيارة ممنوعة إلى أصدقائهم الفلسطينيين.

الحكيم يبلغك تحياته.. شراكتكما في عيادة عمان مازالت قائمة وحصتك محفوظة، ومازال كما عهدته يحمل فلسطين في قلبه ومصر على العودة إلى اللد، وهو وإن نالت به الهموم والآلام مازال يحمل جمر الحقيقة في يده، والراية مازالت مرفوعة، وتفيض عيناه كلما ذُكِرتَ أمامه.

ولك في الصفوف ابناء كثر، يخوضون حربهم من أجل حياة أفضل.. حرية وعدالة، الأشياء البسيطة ذاتها التي كنت تريدها.

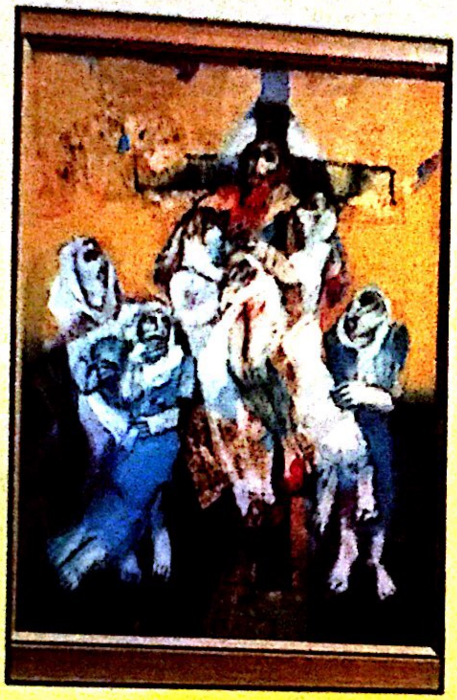
سلام عليك وديع حداد في غيابك. حضورك. المشتعل فينا حزناً وألماً وإيماناً على المضي.. سلاماً عليك وطوبى لهؤلاء الذي يتبعون دربك. «في الحرب بعض الرجال يصيرون كتباً وبعض الرجال يظلون جملة» سلام عليك وأنت أبجديتنا التي لاتضيع.

نحو «أيقونة حلبية حديثة» في أعمال التشكيلي سعد يكن

«المسيح» بدلالات تعبيرية جديدة!

علي الكردي







إذا كان الرمز وسيلة من وسائل التعبير الفنية عند سعد يكن، فإنه في معرضه السابق عن «جلجامش»، كما في معرضه الحالي عن «المسيح» بقدر ما تفتق عن خياله الجامح من مساحات بصرية، بروح تعبيرية، تشخيصية، تسلط الضوء على قضايا إنسانية كبرى، لم تنته عبر التاريخ، إنها قصص الماضي، وقصص الحاضر تروي بؤس الإنسان، وضياعه، وفجائعه، وهو في الطريق إلى فرحه وخلاصه».

يستقي سعد رموزه من (الأسطورة والقصص الدينية)، وإذا كان في أعماله عن جلجامش قد وضعنا على تخوم الجحيم تارة، وبوابات المطهر تارة أخرى بحثاً عن نبتة الخلود الضائعة، وسؤال الحياة والموت والسعادة، فإنه في أعماله عن «المسيح» راح يبحر بنا على متن تصوراته البصرية الجديدة لوجه يسوع «المخلص»، كما يتخيله في رحلة آلامه نحو الجلجلة.

يتكئ سعد على تأويله الخاص لآيات العهدين القديم والجديد، لذلك يقدم وجهاً ليسوع مختلفاً، ومتمايزاً عما نراه في الأيقونة التقليدية المعروفة (الحلبية) أو غيرها، حيث نرى وجه المسيح، وجهاً متطاولاً مشدوداً ومضغوطاً يقطر منه الألم اللحمي الذي يعبّر عن مأساة الإنسان الأبدية في رحلة عذاباته نحو القيامة والصعود والخلاص.

يستفيد يكن من المخزون المعنوي لرمز المسيح، وطاقته الدلالية، ليضيف إليه أبعاداً جديدة، ترتبط بشكل أو بآخر بآلام الإنسان المعاصر ومعاناته الراهنة في عالم يضجُّ بالصراعات العنيفة والقسوة التي لاترحَم.

إن الدلالات التعبيرية التي ذهبنا إليها تظهر على سبيل المثال في لوحة «قبلة يهوذا» من خلال التناقض التعبيري واللوني بين وجهي المسيح ويهوذا، فوجه هذا الأخير أسود فيما عينه الحمراء الجاحظة تشي بالخبث والخديعة والخيانة، وتشكل بؤرة تركيز وجذب للمتلقي، بينما تظهر علامات الألم والتسامح على وجه المسيح - الضحية.

وفي لوحة «يسوع أمام الحكام» نرى في أسفل اللوحة وجه المسيح على صليبه المطلي باللون الذهبي (المقدس)، فيما عشرات الأرجل المقيدة في أعلى اللوحة، تعبر عن حالات العذاب والقمع التي تعانيها البشرية في كل الأزمنة.. الأمثلة السابقة تنسحب على بقية اللوحات التي يطل منها وجه المسيح، ووجوه الشخصيات الأخرى ضمن تكوينات حاشدة، لا تترك مجالاً للفراغ لأن يلتقط أنفاسه.

تكمن الحداثة في لوحة يكن في استفادته من تقنيات العصر وأوراقه وأحباره وألوانه التي مكّنته من إعادة صياغة المشهد الأيقوني بروح جديدة، وكأنه باستخدامه لهذه الزيوت والألوان والأحبار يردم الهوة الموحشة بين الماضي والحاضر، وهو بين هذا وذاك يعيد طرح الأسئلة نفسها عن مغزى العذاب والتضحية والحب والسلام. أليست هذه أسئلة الفن الخالدة؟